تعليقات تاريخية على حملة سرجون الثامنة (١)

بقلم : الدكتور محمود الامين
الملاحظ الفنى

سرجون الثانى (٧٢١ ـ ٧٠٥ ق٠ م)

قل أن اجتمعت صفات العظمة لملك من ملوك التاريخ مثل التى اجتمعت لسرجون الثانى فتوجته وتوج بها شعبه ، فقد كان عظيما فى قيادته فى الحرب والسلم ، فهو لم يعرف فى حروبه غير الانتصارات وفى سلمه غير العمران والتنظيم • وكأنما جاء الى الحكم فوجد اركان الامبراطورية التى تركها له اجداده قد تضعضعت واصابها الوهن واهتزت جوانبها لكثرة الثورات فى الشرق والغرب والجنوب والشمال فقضى معظم سنين حكمه فى القضاء على اعداء الامبراطورية الآشورية الذين استعصوا على من قبله ثم فى اخماد الفتن والثورات وتدعيم اركان الامبراطورية تدعيما عاشت بعده قرنا كاملا • ولم تشغله كثرة الحروب والفتوحات عن اصلاح المملكة وتوجيه العناية الى التنظيم الداخلى والقيام بالمشاريع العمرانية التى كان فى مقدمتها اصلاح الادارة الفاسدة وعتق ربقة الشعب من المظالم والضرائب وتأمين حريات الافراد ، وكانت خاتمة اعماله المجيدة بناء عاصمة امبراطوريته الجديدة دور شروكين •

ولقد دلت النصوص التاريخية ان مجىء سرجون صادف فى زمن ، كانت فيه الفوضى ضاربة اطناب

---

(١) يتألف هذا المقال من مقدمة عن حياة سرجون واسمه ونسبه وكيفية ارتقائه العرش وحالة الامبراطورية الآشورية فى مستهل حكمه ونبذة عن اعماله وفتوحاته حتى حملته الثامنة المشهورة سنة ٧١٤ ق٠ م٠ ومن ترجمة لبحث مسهب عن القسم الاعظم للحملة الثامنة للمستر ادوين رايت نشرت فى المجلة الامريكية الاثرية Journal of Near Eastern Studies المجلد الثانى عام ١٩٤٣ ٠ حاول فيها الناشر تطبيق ما جاء فى النص الآشورى من الانهار والممرات والجبال والمدن والقرى على الاماكن الجغرافية المعروفة اليوم مع الاهتمام الكثير الى الناحية العسكرية والسوقية٠ وفى نهاية المقال يجد القارى نبذة لبقية الحملة التى تركها الكاتب بالنظر الى عدم ارتياده المنطقة التى لاحق فيها سرجون فلول قوات اورسا المنهزمة ونهاية مملكة اورارتو مستمدة من المصادر التاريخية وكتابات سرجون •

الدولة الآشورية وعم فساد الاخلاق البلاد وزادت معصية الشعب للآلهة فتركوا العبادة والدين وراء ظهورهم وتفاقمت المظالم وارهق كاهل الطبقة العامة بالضرائب والجبايات فغضب الاله آشور سيد الآلهة لفساد الحكم فأستدعى اليه سرجون وقلده ملكية آشور ورفع رأسه اليه فسلمه صولجان الملك واجلسه على العرش والبسه التاج وامره بحكم البلاد ليقيم العدل بين الناس ويحرر الشعب من نير الضرائب ويوجههم لعبادة الآلهة في آشوروحران(٢) وليعيد لكل فرد حريته المغصوبة • وقد دونت وثيقة حقوق الانسان هذه على لوحة كبيرة من الفضة وضعت امام تمثال الاله آشور •

وتهافتت عليه وفود البلاد من كهنة واشراف وعامة يبايعونه على مملكة آشور ويضعون انفسهم رهن امره وهكذا اخذ سرجون يضطلع باعباء الامبراطورية الآشورية ليقوم اعوجاج الداخل ويوجه شعبه لمحو الاعداء في الخارج •

نسبه واسمه

ولاول مرة فى تاريخ الملوك الآشوريين يرد ملك بهذا الاسم بعد مرور نحو الف وثلاثمائة سنة على سرجون الاول الآشورى حاكم كاهن آشور (باتينرى) كذلك فان اسماء احفاده سنحاريب واسرحدون وآشور بانيبال غريبة بالنسبة لاسماء الملوك الآشوريين السابقين ولا تشبهها بشيء مطلقا فقد كانت العادة جارية ان يسمى الملوك ابناءهم باسماء آبائهم ولذا فان كثيرا من اسماء الملوك الآشوريين الذين سبقوا سرجون كانت تتكرر بضعة مرات مثل توكلتى نين أورتا وتكلات بلاصر واشور ناصر بال وشلما نصر وشمش اداد واداد نيرارى ••• الخ• ثم ان سرجون الثانى تغافل عن ذكر نسبه فقد دون اسمه فى معظم كتاباته ولا سيما نصوص الانتصارات العظيمة التى دونها على الواح الطين والمرمر فى نمرود وعلى جدران قصره الفخم فى خرسباد ، بدون أن يذكر اسم ابيه واجداده فتجاهل بهذا اصله على الطريقة التى اتبعها من قبله مسيلم ملك كيش الذى حكم (٣٠٠٠ ق• م) وسرجون الاكدى (٢٦٠٠ ق• م) الامر الذى بعث المؤرخين الى الاعتقاد بأن سرجون الثانى مؤسس سلالة ملكية جديدة وانه مغتصب للعرش وطريقة مجيئه الى الحكم لا تختلف بشيء عن بقية مؤسسى السلالات الملكية فى تاريخ العراق القديم •

والحقيقة أن سرجون الثانى ككل مؤسس عهد جديد وامبراطورية قوية اراد ان يكون هو المبدع لهذا الدور الحديث والخالق لهذا النظام القوى الجديد فتغافل عن ذكر نسبه لا سيما عقيب انتصاراته العظيمة ليسدل الستار على الماضي ويفصله عن عهده الجديد كما فعل من قبله مسيلم وكوديا وسرجون الاكدى ولذا فقد جعل نفسه صنوا (شنات Sunnat) للبطل الاسطورى الحكيم

---

(٢) حران ، وهى احدى المدن الآشورية المهمة المقدسة وكانت مركزا لعبادة الاله سن (اله القمر) ورمزها الهلال وتقع على نهر بالخ احد فروع الفرات في سورية •

ادبا Adapa الذى يهب الناس الحكمة والعلم والحضارة وتشبه به وادعى فى كثير من كتاباته انه ادبا كما ادعى ابنه سنحاريب أنه ابن ادبا الحكيم وادعى فى اماكن اخرى من كتاباته بأنه انحدر من ابطال الاساطير السومرية الآخرين مثل كلكامش وانكيدو وخمبابا وامثالهم وراجت فى عهدهما الاساطير عن كيفية مجيء هذه السلالة الى الحكم كما شاعت من قبل عن مجيء سرجون الاكدى ، فهى لا تختلف عن هذه وعن التى قيلت بحق موسى فى التوراة ، من ان سرجون كان بستانيا ثم اصبح ساقيا لسيده الملك وبعدها تقدم فى مراتب البلاط الآشورى حتى ثار على الملك واغتصب منه العرش مما قوى الاعتقاد عند معظم المؤرخين بأن سرجون لم يأت من سلالة ملكية وانما من العامة بالرغم من ان حفيده اسرحدون قال بأنه سليل الملك الآشورى بيل بانى Bêlbâni ابن اداسى Adasi الذى اسس الدولة الآشورية سنة ١٨٢٦ ق٠ م٠ على ان هذا الغموض التاريخى لم يدم طويلا لدى العلماء الاثريين فقد توفق البروفسور الالمانى ايكاردت انكر الذى كان يعمل فى متحف استانبول سنة ١٩٣٣ الى العثور على كتابة آشورية مزججة تحمل اسم الملك سرجون الثانى ونسبه والقابه(٣) وانه ابن الملك الآشورى تكلات بلاصر الثالث وبذا يكون الملك سرجون اخا للملك شلما نصر الخامس الذى حكم قبله وحفيد اداد نيرارى الثالث ابن الوصية سميراميس ٠ (شمورامات) ٠ وترجمة هذه الكتابة كما يلى :ـ

« قصر سرجون ، الملك العظيم ، الملك الجبار ٠ ملك العالم (الكل) ملك بلاد آشور ابن توكلتى ابال اى شرا (تكلات بلاصر) ملك بلاد آشور ٠»

وقد كتب سرجون اسمه على الغالب بالكتابة الرمزية ، لا بالاشارات المقطعية والصوتية وكثيرا ما جاء اسمه شروكينو ''Serru-Kênu'' اى الملك الشرعى وكذلك ورد شرواوكن ''Sarru-ukîn'' الملك الباسط العدل ، على الاخص فى الوثائق الخصوصية ووجد اسمه مدونا فى الوثائق الملكية المستخرجة من اوروك وآشور مما يؤيد ان طريقة الكتابة الحقيقية التى دون بها سرجون اسمه هى شرواوكن ''Sarru-ukn'' وذهب العلماء الاثريون مذاهب شتى فى تفسير اسم سرجون فمنهم من قال ان معنى شروكين او شرو اوكن : الملك الشرعى ، الملك الازلى ، الملك المتأخر ، الملك المتوج من قبل الاله ، الملك الذى يعيد الامر الى نصابه ، الملك المؤسس أو الملك العادل ٠

ارتقاؤه العرش

تسنم سرجون الثانى عرش آشور فى اليوم الثانى عشر من شهر طيبت Tebet (كانون الثانى وفى رواية فى تشرين الثانى) سنة ٧٢٢ – ٧٢١ ق٠م

(٣) هذه القطعة المزججة محفوظة فى متحف استانبول تحت رقم ٣٢٨٢ وكانت البعثة الالمانية قد استخرجتها من قصر الملك سرجون فى آشور ونشرت كتابتها واوصافها فى :

Unger, Altorientalische könige als Kulturbringer: Forschung und Fortschritte IX, 1933, 5. 245 ff.

وذلك بعد وفاة اخيه شلمانصر الخامس مباشرة مما يدل ان مجيئه الى الحكم كان بطريقة شرعية لم يلاق فيه صعوبة ما وقد غفلت النصوص التاريخية التي دونت تاريخ سرجون عن ذكر علاقته بأخيه وعن كيفية ومكان موته كذلك عن ذكر مكان سرجون أثناء موت أخيه فيما اذا كان في آشور او خارجها اذ كانت الجيوش الآشورية آنئذ في صراع عنيف مع اليهود والمصريين في فلسطين وكانت العاصمة الآشورية تنتظر في كل لحظة خبر سقوط مدينة السامرة (Samérina سامرينا) عاصمة اليهود في ايدي القوات الآشورية التي ضربت عليها الحصار منذ ثلاث سنوات • والظاهر ان سرجون كان انئذ في آشور اذ وافاه خبر سقوط المدينة (السامرة) عقيب تتويجه مباشرة كما لم تكن القوات الآشورية التي سقطت في يدها السامرة وسكانها اليهود ليعرفوا خبر انتقال العرش واسم الملك الجديد ولذا فان التورات لم يذكر اسم الملك الآشوري الذي سقطت بيده السامرة • والى سرجون يرجع الفضل في محو الدولة الاسرائيلية وتشتيت شمل اليهودفقد قام في الحال بتطبيق الطريقة الآشورية المعروفة وهي عملية التهجير والتشتيت فهجر ٢٧ الف و٢٩٠ يهوديا من سكان السامرة فأسكن قسما منهم في بلاد آشور وبقاياهم اليوم في قرى كثيرة من شمال العراق كقرية صندور قرب دهوك وفي دهوك وزاخو وعقرة وغيرها وفي مدينة كلخو (نمرود) وفي ميديا وفي مقاطعة كوزان الواقعة على نهر الخابور واسكن بدلهم في السامرة وحواليها اسرى من بابل وكوتا وحماة والمدن الاخرى وجعل مملكة اسرائيل مقاطعة آشورية والحقها بالادارة الآشورية ولم يكد سرجون يتهيأ لتوجيه عنايته الى شؤون البلاد الداخلية حتى وافته الاخبار عن ثورة مردوخ بلدان صاحب منطقة بيت ياكين في جنوب العراق وتحالفه مع خمبانيكاش Humbanigash ملك عيلام واستيلائه على بلاد البحر وسومر واكد واعلان نفسه ملكا في مدينة بابل في نيسان سنة ٧٢١ ق•م وقد كان قبلا خاضعا لسلطان آشور حيث دفع الجزية للملك تكلات بلاصر الثالث ولابنه شلمانصر الخامس ولكنه انتهز فرصة موت الملك الآشوري وانشغال الشعب في مراسيم انتقال العرش والقوات الآشورية في فلسطين •

فأسرع سرجون بحملة تأديبية لتحطيم العدوين على انفراد والتقى بالملك العيلامي عند مدينة الدير وترك مردوخ بلدان على ان يلتحم به فيما بعد ولكن سرجون لم يحرز انتصارا حاسما على اعدائه في الجنوب فقفل راجعا الى آشور وترك اعداءه في الجنوب بدون ان يتحرش بهم او يتحرشوا به ثم فكر باتباع نفس الخطط الحربية التي كان والده تكلات بلاصر يتبعها وهي اولا تصفية الحساب مع السوريين والفلسطينيين الذين كانوا دائما وابدا يقلقون راحة الدولة الآشورية ويثورون عليها بتحريض من المصريين ثم القضاء على اعدائه في الشمال والشمال الشرقي وعلى الاخص على ميديا وارارتو (ارمينيا) وملكها روزاس الذي

لا يكف عن مهاجمة الدولة الآشورية من الشمال معتصما بالجبال وتحصيناتها الطبيعية ثم وضع حد نهائي للثائر البابلي مردوخ بلدان وطرده من بابل وغزوها ثانية ٠

وكانت سوريا بالنسبة الى بقية البلاد المعادية اسهلها غزوا لان فيها امارات كثيرة حافظت على حريتها بصداقتها مع الآشوريين ودفع الجزية لهم باستمرار ولذا فهي على استعداد لمساعدة الجيش الآشوري للقضاء على المعتصبين ٠

وكانت امارة حماة في مقدمة هذه الولايات الموالية غير ان احد المواطنين واسمه يعوبيدى Ja'ubidi استغل موت الملك شلمانصر فثار على حاكم المدينة ايني ايل Eni-îl وقتله واغتصب منه السلطة وانظمت اليه مقاطعات دمشق وارواد والسامرة واعلنت العصيان والثورة على الآشوريين معتمدة على مساعدة خانو « حنون » Hanno امير غازا (غزة) وسيبيء Sib'u (سباكو Sabako) احد امراء مصر الذى انهزم مرة امام تكلات بلاصر ٠

ففي سنة ٧٢٠ ق٠ م اسرع سرجون بالزحف على رأس جيش عظيم على سورية وفلسطين ومصر قبل ان يتم تحالف اعدائه والتحم مع قوات الثائر يعوبيدى عند مدينة قرقر (Qarqar) بالقرب من حماة فقضى على قواته واسره وسلخ جلده فيآشور حيا ـ وقد كانت هذه الموقعة هى المرة الثانية التى يلتحم بها الجيش الآشورى مع القوات السورية المتألبة بعد مرور ١٣٤ سنة على الموقعة الاولى ٠

ثم زحف نحو الجنوب للقضاء على اعدائه الآخرين والتحم بهم على حدود مصر عند مدينة رافيا Raphia (رفح) بمعركة حامية الوطيس خرج سرجون على اثرها منتصرا وانهزم سيبيء وحده كالراعى الذى تنهب غنمه واسر خانو (حنون) وساقه مكبلا بالسلاسل الى مدينة آشور واستولى على قلعة رافيا ودكها مع الارض ٠ وعلى اثر ذلك ارسل امراء مصر الجزية والهدايا الى سرجون وكذلك الملكة سمسية Samsiye ملكة البلاد العربية ويثعمرا Ita'mara ملك سبأ ـ وكانت هذه الهدايا من الذهب والخيول والجمال ورجع سرجون منتصرا الى بلاده آشور حيث تنتظره مهمات اكثر خطورة من تلك التى فى الغرب وهى تحطيم مملكتى اوارتو وميديا او اضعافهما على الاقل اذ لم يتمكن ابوه تكلات بلاصر الثالث من القضاء عليهما ٠ وجعل الامارات المجاورة للحدود الشمالية والشرقية لبلاد آشور خاضعة تحت نفوذه ٠

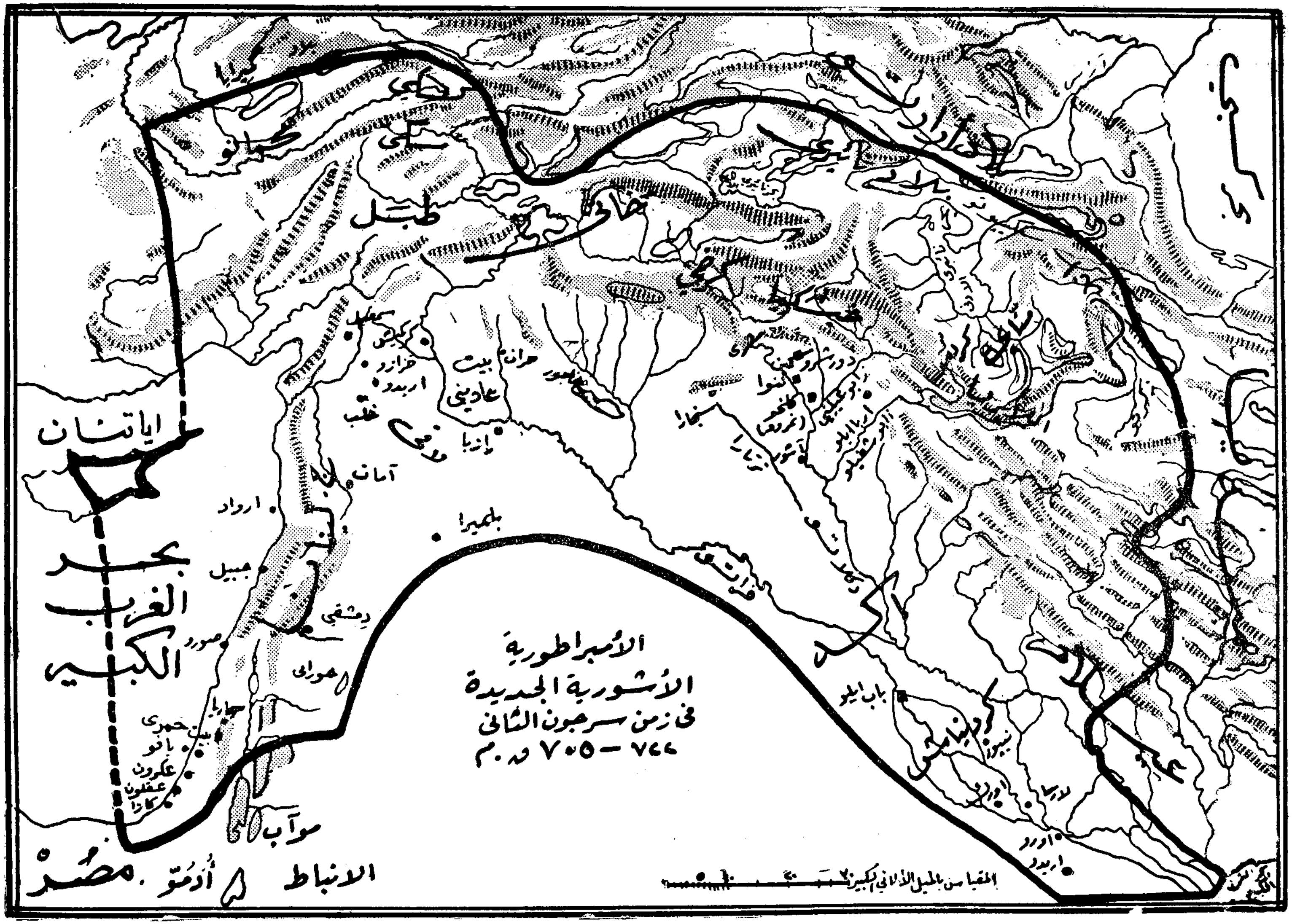
وفى سنة ٧١٩ ق٠م افتتح سرجون العداء فى الجبهة الشمالية الشرقية واخذ يجرد على الميديين والاوارتيين حملات تأديبية كثيرا ما قادها بنفسه ولكنها لم تنتج نتائج حاسمة لوعورة المناطق الميدية والاوارتية التى يلجأ اليها ملوك هذه المقاطعات ٠ اذ حالما كانت الجيوش الآشورية تعود الى الوطن، كانت الاخبار تتوارد على سرجون باعتداء اعدائه على المقاطعات الموالية والخاضعة للآشوريين ٠على ان سرجون ظل يشاغل اعداءه بحملات عسكرية قليلة العدد وقصيرة الامد ريثما ينتهى من تصفية الحساب مع الحثيين والامارات الاخرى فيأواسط

وجنوب آسيا الصغرى والتى كانت تمد الارارتيين بالقوات والمعدات ففي السنة التالية من حملته التأديبية على منطقة جنوب بحيرة اوروميا واستيلائه على مدينتي دوردكا وشواندخول اللتيـن انضمتـا الى متاتي صاحب بلاد زكرتو وحليف ملك ارارتو ، وتهجير سكانهما مع سكان ثلاث مدن اخرى الى سوريا ، جهـز حملـة تأديبيـة على ملك كياكي (Kiakki) صـاحب بلاد طبـل الذى امتنـع عن تأدية الجزية للملك الآشوري سرجون بتحريض من ملك ارارتو فأستولى على عاصمة ملكه واسره مع عائلته وحاشيته وجاء بهم جميعا الى بلاد آشور والحق بلاده ببلاد ماتي Matti صاحب بلاد أتـون الموالي للآشـوريين وكان ذلك سنة ٨١٨ ق٠ م٠

ومثل ذلك صنـع سرجـون مع الحثيين ففي سنـة ٧١٧ ق ٠ م جـرد حمـلة تأديبيـة على بلاد الحثيين فأستولى على عاصمتهـم كركميش واسر ملكها بسيرس (Pisiris) واهله وحاشيته وجاء بهم الى بلاد آشور والحق قوات بسيرس بالجيش الآشـوري وجعـل كركميش مقـاطعة آشورية وخلط سكانها بالآشوريين الذين هجرهم اليها ٠ واحبط سرجون في نفس السنة محاولة ثورة اراد القيام بها سكان مدن بابا Pâpa وللكنا Lallukna الواقعـة على حـدود بلاد ارارات وهجرهم جميعا الى دمشق ٠

على ان اهم حادثة جـرت في هـذه السنـة بالنسبـة الى سرجـون هي مـوت الملك العيلامي خمبانيكاش الحليف القوى للثائر البـابلي مردوخ بلدان عدو بلاد آشور العنيد ٠ فخلفه ابنه شطر ناخـونـدي (Shutur-nakundi) وكان هــذا جبانا خشى التحـرش بالآشـوريين وامتنـع عن مساعدة حليف والده مـردوخ بلـدان فأنتهـز سرجون هـذه الفرصة لوضـع حـد للارارتيين والميديين المهددين لسلامة الدولة الآشورية فقضى بقية سنة ٧١٧ وسنة٧١٦ و ٧١٥ ق٠ م في اضعاف اعدائه بحملات يجدها القارىء في مقدمة الكلام عن الحملة الثامنة استولى في اثنائها بالاضافة الى المدن المذكورة على مدينة كيشيزم (Kishésim) اهم مدن بلاد ميديا الغربية واسر ملكها بيل‌شراوصر Bêl-shar-usur وحولها الى مدينـة آشوريـة واسماها كارنابو Kâr-Nabu واكره اهلها على عبادة الآلهة الآشورية وبنى فيهـا معبـدا لهذا الغرض ثم نصب فيها مسلة تحمل صورته (الملك سرجون) مع كتابة عن انتصاراته في هذه المنطقة وجعلها عاصمة لمنطقة ميديا الغربية بما فيها مقاطعات بيت سكبت Bît-Sagbat وبيـت خرمـامي Bît-Hirmami وبيت أمركي Bît-Umargi وأضاف اليها مدن خرخمبارنم Harhumbarnim (؟) وكيلام باني Kilambâti وارمنكو Armangu .

ثم قضى سرجون على ثورة شيبا شرو Shepâ-Sharru واستولى على مقـاطعته نكساما Niksamma وعلى مدينة شركاديا Shurgadia وألحقها بالمقاطعة الآشورية برسواش Parsuash واستولى على مدينة خرخر Harhar الواقعة عند ينـابيع نهر ديالي والتي تشكل حداً فاصلا


الامبراطورية
الأشورية الجديدة
في زمن سرجون الثاني
٧٢٢ – ٧٠٥ ق. م
بحر الغرب الكبير
ايا تنان
مصر
أدمو
الانباط
موآب
ارواد
جبيل
صور
دمشق
حوران
آمات
بلميرا
ارابا
حلب
كركميش
بيت عادين
باب ايلو
نينوى
بحر كسبي
اوردو
اورو
المقياس بالميل الانكليزي

بين بلاد ميديا وعيليبي Ellipi (شمال بلاد عيلام) وبلاد بابل وبلاد آشور فأسكن فيها الأسرى وغير اسمها الى كارشروكين Kâr-Sharrûkîn وجعلهـا عاصمة لمقاطعة جديدة .

وفى سنة ٧١٥ ق٠م اى فى السنة السابعة من حكمه اسرع سرجون لانقاذ عامله اوللوسونو كما هو مفصل فى الكلام عن الحملة الثامنة واعـاد اليه الاثنين والعشرين حصنا التـى كان اورسـا ملك اوارتو قد اغتصبها منه كما اسر ديوكو احد حلفاء اورسا ونفاه الى حماة فتضعضعت قوة اورسا لاسيما بعـد ان قـدم ايانزو ملك بلاد نائيـرى الجزية والهدايا للملك سرجون واستقبله فى عاصمة ملكه خوبشكيا ثم بعد أن اسر سرجون صنائع اورسا تيلوسينا Télusina وأنديا ٠ وقد أمـر سرجون باقـامة نصب النصر له فى ازرتـو عاصمة عامله اوللوسونو ٠

وفى سنة ٧١٤ ق٠م وجد سرجون ان ساعة الحساب مع اورسا ملك اوارتو قد دنت فجرد عليه حملة عظيمة بجيش عـرمرم جـرار مؤلف من المشاة والخيالة وفرق المركبات الحربية وفرق الهندسة **وقد دعيت بالحملة الثامنة لانها وقعت فى السنة الثامنة من حكمه ثم هى الحملة الكبيرة الثامنة التى يقودها سرجون بنفسه ٠**

وقد وصفت لاول مرة وصفـا شعريا دقيقـا فى غاية البلاغة من قبل الكاتب الاعظم نابو شلي مني Nabu-Shallimanni الآشورى الذى رافق الحملة فى معية سرجون بكتاب شكـر وجهـه الى الآله آشور ٠ وقد نشر عنها العلماء الاثـريـون الشيء الكثير وآخر من نشر هو المستر ادوين رايت كما جاء فى مقدمة المقال ٠

حملة سرجون الثامنة

(٧١٤ ق٠ م)(٤)

لو وقف المرء فوق اطـلال نمرود ـ مدينـة

---

(٤) هناك دراسات عديدة نشرت عن هـذه الحملة واقدمها تلك التى نشرت كاملة فى :ـ
A. T. Olmstead's Western Asia in the Days of Sargon of Assyria (1908)
وبعدها باربع سنوات قام المسيو F. Thureau-Dangin– بنشر النصوص الآشورية لهذه الحملة مع ترجمتها ٠ والتعليق عليها باللغة الفرنسية فى كتاب عنوانه :ـ
Relation de la Huitiéme Campaigne de Sargon (Paris 1912)
وفى سنـة ١٩١٢ ادرج اولمستد فى كتابه تاريخ الآشوريين Olmstead, History of Assyria دراسته الاولى مع تفصيلات ضافية ضمنهـا فى صفحات عديدة من كتابه ابتداء من ص ٢٢٩ ٠
وفى سنة ١٩٢٦ نشر D. D. Luckenbill فـى كتابه: Ancient Records of Assyria and Babylonia.
بمجلدين سرد فى احدهما الترجمـة الانكليـزية للنص الآشورى لهـذه الحملـة ٠ وبالنظـر الى التشجيع الذى لاقاه كاتب هذا المقال من البروفسور أولمستد لتكوين دراسة عن هذه الحملة فقد كتب هذه الدراسة التى نحن بصددها فى ربيع ١٩٤٢٠ وفى الوقت الذى كان الكاتب يقوم باجراء بعض التعديلات والاصلاحات المطبعية للمقـال ، نشـر المستر H. A. Rigg. فـى :
JAOS LXII, p. 130-138
مقالا بعنوان حملة سـرجون العسكرية الثـامنة "Sargon's Eight Military Campaign"

كلاح (كلخو) التى كانت يوما ما عاصمة الملك سرجون الثانى واتجه نحو الشرق لسقط نظــره على نتوءآت جبلية تسبح فى الافق وتمتد على طوله كسلسلة العمود الفقرى ، تلك هى سلسلة جبال زاجروس • وكل ملك آشورى قدر له ان يتوفق فى اجتياز هذه الجبال لرجــع الى وطنــه محملا بالغنائم تتقدمه قطعان عظيمة من الماشية والانعـــام وكل ما يحتاجه الشعب من مؤون وطعام والجيش من ذخائر ومعدات وتقوية • ولكن الحصول على هذه الاشياء ليس من السهل الميسور خاصــة وان المقاومة فى وجــه الغـــزاة لا تأتــى من السكان المحليين المعروفين بالمنأيين (المانيين) القاطنين فى هذه البقاع الخصبة المحيطة ببحيرة اوروميــا(٥)

وهناك مراجع عن هذه الحملة غير التى ذكرناها يجدها القارىء فى حواشى هذا المقال ، ولربما تظهر انها محاولة غريبة من الكاتب جاءت فوق طاقته فيقوم بشرح هذه الحملة الشهيرة بدون معــرفة لغة نصها الاصلى ، غير انهناك عاملا واحدا شجعه على القيام بهذه المهمة لم يكن متوفرا عند غيره من الكتاب المؤرخين ، ذلكانه ولد فىتبريز وقضى السنوات التى اعقبت الحــرب العــالميــة الاولى متجولا فى العراق وشمال ايران مدة ست عشرة سنة) • ولما كان مغرما بالاسفار والرحلات جال اذربيجان مشيا على الاقدام تــارة ، واخــرى على ظهور الخيل مرات عديدة ودار جميع هذه المنطقة خلال صيفين كاملين متخذا قرية مراغة مقرا له، كذلك تسلق جبال ساهند تسع مرات ولف حولها مشيا مرتين فجمع معلومات قيمة عن هذه المناطق الجبلية الوعرة وعن القــرى المجهــولة هويتهــا التاريخية وعن الوديان والتلول فوضحها بصورة يسهل معها فهم حملة الملك الآشورى ســرجون كمن خبرها بنفسه• ولقد قام البروفسور أولمستد بترتيب هذا المقال حتى جاء بهذه الصورة كمــا وتفضل بتقديمه الى البروفســور F. W. Giers فقــرآه وعلق عليه ونقحه وكذلك اطلـــع عليــه البــروفســور George G. Cameron فصلــح النص واسدى ارشــادات قيمة • وكمــا يظهر من المعلومات التى تتناول المناطق الجبليــة الوعــرة المحيطة ببحيرة اروميا والتىاعتبرها الكاتب اساسا للاستدلال على استقاء المعلومات لهذه الدراسة انه احتوى عليها بالمقارنة التقريبية مع ما جاء منها فى القسم الاخير من الحملة والذى يتنــاول المنطقــة الجبلية المحيطة ببحيرة اروميا • وان ما جاء فى هذا المقال من وصف عن الممرات والطرق الجبلية سواء الواقعة منها فى الجهة العراقية ام فى الجهة الايرانية ، كلها ملاحظات ودراسات شخصية • ومهما يكن فان هناك مصادر تدل على ان عددا قليلا من الرواد الذين جابوا هذه المنطقة وعقبوا طرقها — كتبوا بان القسم الاعظم منها غير معروف ،وان احسن خارطة يمكن بواسطتها دراسة هذه المناطق ومعرفة اوصافها هى :

The Official war map (Great Britain), Geographical Section of the General Staff No. 3919: Second Edition 1932, scale 1 inch to 4 miles or 1/253,440, Sheet 1H, 2E.

ومع هذا فان هذه الخارطة لم تعين بعض المواقع الجغرافية التى وردت فى هذا النص مما ادى ذلك الى القيام بسرد وصف شامل لهذه المنطقة •

(٥) يظهر ان مملكة المنأيين (المانيين) كانت احــدى الدول الايرانيــة القــديمة Pre-Iranian State بسطت نفوذها على اغلب البقاع المحيطة ببحيرة ازوميا ثم اخذت تضعف وتفقد سيطرتها فطمع بها جيرانها واخذوا يعتدون عليها ويتجاوزون على اراضيها ويقتطعونها شيئا فشيئا حتى اختفت تقريبا فى ايام سرجون :—

Jer. 51: 28 refers to the people as "The minni" Its former borders will appear in the description of the Campaign itself.

وانما بيد المستغلين لخيراتها وهم الاقوام المجاورون لها من الشرق والشمال الغربى والذين لا يريدون مشاركة ملوك الآشوريين فى استغلال هذه الخيرات • فالمنافس الاول هو مملكة ارارتو(٦) (بلاد ارمنيا) ، وسكانها معروفون لدى المحاربين الآشوريين منذ القدم بانهم اعداء اشداء •

والمنافس الثانى هم اقوام حديثو العهد كانوا يدعون فى زمن سرجون « زكرتو » الزكرتيون •

ولقد شن الملوك الآشوريون الاولون حملات واسعة النطاق على البلاد الواقعة وراء جبال زاجروس وكانت الاخبار التى يفيدون بها عند عودتهم تتميز بمغالاة كبيرة عن الغنائم والاسلاب الحربية وضحايا العدو ولكن سلطانهم يزول عن هذه المقاطعات والبلاد حالما تصل مؤخرة جيوشهم الوطن • ولما ارتقى سرجون الثانى العرش سنة ٧٢٢ ق• م كان يعاصره من حكام منطقة جبال زاجروس : اورسا صاحب بلاد ارارتو ومتاتى صاحب بلاد زكرتو ثم صاحب بلاد المنأيين (المانيين) وكان يلقب باسم ايانزو اى « الملك » وكان فى الحقيقة من الرعايا الآشوريين • وقد عقد كل من اورسا ومتاتى حلفا مع بعضهما ضد بلاد المنأيين الخاضعة لسلطان الآشوريين وهاجماها واستوليا على اراضى واسعة من ممتلكاتها وضماها الى بلادهما فأستغاث ايانزو بالملك سرجون واستنجده وفى سنة ٧١٨ ق• م استجاب سرجون لاغاثته اذ خرج على رأس حملة لتأديب المغيرين الغاصبين واسترد ما كان قد استولى عليه من بلاد المنأيين بعد ان الحق بهما هزائم منكرة ثم قوى مولاه بما امده من النجدات والمعدات وبما قام به من التحصينات غير ان ايانزو لم يعش بعد ذلك طويلا اذ وافاه الاجل بعد امد قصير فعين سرجون بدله ايانزوا (ملكا) آخر هو آزا وكان ذلك سنة ٧١٧ ق• م ولكن هذا الحاكم الجديد خانه الحظ فخاب فى صد هجمات اعدائه وسقط فى السنة الثانية اسيرا فى قبضة جيرانه الجشعين الذين الحقوا الويلات بسلفه وكانوا فى هذه المرة قد عقدوا حلفا جديدا مع بكدتو Bagdattu احد الرؤساء الايرانيين • وقام هؤلاء الثلاثة ، اورسا ومتاتى وبكدتو بتعذيب الحاكم الآشورى آزا فسلخوا جلده وعرضوا جسده على جبل ساهند (يوش) Uaush وعلى اثر ذلك عين سرجون اوللوسونو Ullusunu شقيق آزا حاكما على بلاد مناى وقبض على بكدتو وسلخ جلده فى نفس المكان الذى ذبح فيه آزا •

ولما عاد سرجون من حملته التأديبية انظم اوللوسونو بدافع التهديد والخوف الى اورسا ملك ارارتو وآشورليؤ ملك كرالا واتى ملك اللابريا وتحالف معهم على اساس الرهائن (بأن يقدم اعز اعضاء اسرته رهينة لتأمين تنفيذ العهود وشروط المحالفات) • ولكن ما كادت السنة تنتهى حتى عاد سرجون لتأديب العصاة فأسر آشورليؤ واتى وهجرهما عن بلادهما وعفا عن اوللوسونو عندما

---

(٦) ارارتو ، وقد ورد ذكرها فى التوراة باسم أرارات وكانت تطلق على البلاد المحيطة ببحيرة وان ثم توسعت حتى اصبحت فى القرن الثامن ق• م• تشمل المناطق الواقعة حول بحيرة اروميا•

انكب هذا على قدمى الملك سرجون يقبلها متضرعا اليه بطلب المغفرة • وفى ربيع سنة ٧١٥ ق• م تواردت على الملك الآشورى اشاعات جديدة عن مؤامرة تحاك ضده لمحاربته ، ذلك ان ديوكو حاكم احدى مقاطعات بلاد المنأيين تحالف مع اورسا وقدم له ابنه رهينة لضمان هذا التحالف وتعزيزه وعلى اثر ذلك استولى اورسا على اثنتين وعشرين قرية من قرى البلاد المنأية (التى تقع فى المنطقة التى تسمى اليوم مراغه (Marâghah) كما اخذ ديوكو يزحف من جهته • وقد قضى سرجون قسما من الصيف (سنة ٧١٥ ق• م) فى تعقيب ديوكو حتى قبض عليه ونفاه الى حماة[7] • ولكن هذا لم يكن بكاف للقضاء على الاعداء اذ ان التحالف القديم بين اورسا ملك ارارتو ومتاتى ملك زكرتو بعث من جديد فأخذ سرجون يتلقى من عامله اوللوسونو استغاثات جنونية لنجدته ، ادرك بموجبها سرجون مدى تدهور كرامة الدولة الآشورية وانحطاط سلطانها فقرر بان هيبة الآشوريين ونفوذهم لا يسترجع الا بحرب خاطفة عنيفة تضعف اورسا نفسه وتقضى على شوكته • غير ان حملة كهذه يجب ان تحكم خططها بدقة واعتناء لانها تقاد وتوجه فى جهة وطريق يختلفان تماما عن تلك التى كانت تتبع لحد الآن يتعسر معها تأمين الامدادات والمؤون والمواصلات الحربية • وكانت الحملات الحربية السابقة التى توجه نحو الشرق والجنوب الشرقى الى بلاد ميديا[8] القوية تساق

(٧) ان مطابقة اسم ديوكو على اسم دايوكس LAR, §§ 12, 56
الوارد فى تاريخ هيرودتس ٩٥ قداصبحت مقبولة لدى العلماء بصورة عامة :ـ
Cf. Olmstead. Assyria, pp. 243-441; Cameron, ... p. 151).
ان تعيين مكان المملكة التى حكم فيها ديوكو غامض فقد اعتبر هيرودتس ان عاصمة مملكته كانت مدينة اكباتانا ولكن هذا امر مشكوك فيه وذكر سرجون ان ديوكو كان حاكما لبلاد مناى وهى المنطقة التى تشمل مجارى الانهار التى تنصب فى بحيرة اروميا وبطريقة التحرى والاقصاء يمكن تعيين مملكة ديوكو فى المنطقة الواقعة فى اعالى نهر صاروق وتيكان تبه وتختى سليمان فيحدها فى اقصى الجنوب بلاد بيت عبدادانى Bît-Abdadani (أى منطقة بيجر كروس Bijar Garrus) وهى التى تقع فى بلاد المنائيين ويحدها من الشرق قسم من بلاد كيزل بندا Gizilbunda وفى الغرب منها تقع بلاد ازرتو Izirtu (منطقة صاقس) حيث كان اوللوسونو يعيش ، ولما لم يذكر اسم لحاكم منطقة اعالى نهر صاروق فيمكن القول ان ديوكو كان يحكم هذه المنطقة •

(٨)
Ernst Herzfeld, Iran in the Ancient East (New York, 1941), pp. 192f.
وفى مكان آخر يعين بلاد الميديين الاشداء ويقول انهم كانوا يسكنون فى منطقة مدينة اكباتانا غير ان البروفسور Cameron فى كتابه History of Early Iran يعارض فى جعل فارق محسوس بين الميديين وبين اولئك الذين وصفهم الآشوريون بالميديين الاشداء ، لان امثال هذه الصفات كان اطلاقها شائعا آنئذ ومن المحتمل انهم لم يقصدوا بهذه التسمية التمييز بين الاقوياء من الميديين وبين الضعفاء منهم او التفريق بين هؤلاء القاطنين فى هذه المنطقة عن اولئك الذين يسكنون فى منطقة اخرى • كذلك لا يوجد لدينا فى الوقت الحاضر ما يستدل منه على ان هذه الجماعة من الميديين كانت اكثر تنظيما واستعدادا للحرب من الجماعات الميدية الاخرى

بمعدات خفيفة ، غير ان الهدف اصبح فى هذه المرة الافناء ولا سيما القضاء على القواعد التى تشن منها القوات المعادية الهجمات والتى تقع فيما وراء جبال ساهند التى تحيط ببحيرة وان من الشرق وتمتد حتى شمالها ٠

وقضى سرجون طوال مدة شتاء سنة ٧١٤ ق٠م فى تهيأة جيشه العظيم ، فلما اقبل الربيع وبدأت الثلوج تذوب تدريجيا من فوق منحدرات جبال زاجروس الوعرة كانت الاستعدادات التى قام بها سرجون قد انتهت وما كاد شهر ايار من السنة نفسها يقارب نهايته الا ونرى سرجون يوجه رسالة الى الآلهة فى صلاة يبتهل بها اليهم بالنصر ، استهلها بقوله :ـ

« آشور ، يا ابا الآلهة ، ايها الرب العظيم ، رحماك ورحمة منك للجميع » وبعد ان وثق من النصر ونجاح خططه الحربية التى رسمها لهذه السنة ، جمع جيوشه فى مدينة كلاح وفى شهر دوزو (تموز) زحف سرجون على رأس قواته صوب الاعداء ٠

وقد كان الزاب الاعلى آنئذ فى اقصى فيضانه ورفع ذوبان الثلوج مستوى مياهه بحيث اصبح عبوره صعبا وبعد مسيرة ثلاثة ايام اخذ سرجون على نفسه عهدا بتكريس قواته العظيمة لتذليل ولجم اعدائه الرعناء وربط ركب الخونة المتمردين ، فاوقد فى نفوس قواته الحماس وحملهم على عبور نهر الزاب الاسفل بسرعة فائقة كمن يتخطا جدولا صغيرا(٩) ٠ وبذل سرجون مجهودا آخر خرج به

(٩) ان اجتياز الزاب الاسفل فى الوقت الحاضر مشكلة يظهر ان حلها ليس من الامر الهين فالقوافل الحالية تسير من نمرود وتعبر الزاب الاعلى عند الكوير وتعبر الزاب الاسفل عند الطون كوبرى بواسطة الجسور الحديدية المشيدة هناك ثم تسير بمحاذاة الشاطىء الجنوبى باتجاه درمانة وحمدون حتى تصل منعطفه الكبير حول جبل كللارا Kullara وهنا يصبح الممر وعرا وضيقا ثم تجتازه مرة اخرى بواسطة عبارة قديمة الى الشاطىء الشمالى فى مكان يقال له دخان وتدخل بعد ذلك سهل رانية ٠ ولهذا الطريق فائدتان وهما انه يؤدى الى سهل مستو ثم وجود الينابيع والوديان بكثرة بحيث تجعل مياه سهل رانية غزيرة ٠ ولكنه لا يوجد فى رواية سرجون ذكر لعبور الزاب مرة ثانية ولو كان قد عبره مرة واحدة فقط لكان عليه ان يقوم بدورة كبيرة نحو الجنوب ويسير فى مسافة طويلة شاسعة بخلاف هذا الطريق القصير الذى يوصله بسرعة الى هدفه ، النهاية الجنوبية لبحيرة اروميا ومن المحتمل انه اهمل ذكر عبوره الزاب الاسفل للمرة الثانية او انه لم يعبر ما يسمى اليوم بنهر الزاب الاسفل اذ يظهر ان تسمية هذا النهر تتجدد دائما فهو لا يزال يحمل اسماء عديدة فمرة يدعى اثناء دخوله فى منطقة الجبال باسم نهر بانه Baneh ويدعى باسماء مختلفة فيما وراء هذه المنطقة ٠
وعلى بعد خمسة عشر ميلا الى الشمال الشرقى من الطون كوبرى يوجد نهر عريض يدعى نهر شلغا Shalgha يصب فى الزاب الاسفل ومن المحتمل ان هذا النهر دعى بالزاب على زمن الآشوريين ودعى فرعه الشرقى آنذاك باسم آخر بخلاف اسمه الحالى ، بانه صو ٠ ولو صح هذا الادعاء لقلنا ان سرجون عبر نهر شلغا وعقب الشاطىء الشمالى لنهر الزاب الاسفل غير ان هذا الطريق وعر ويصعب على سرجون السير فيه بمركباته الحربية ومعداته الثقيلة ولذا فانه يتضح من هذه المعلومات ان الطريق الذى سلكه سرجون فى حملته هذه هو الطريق الاول على الاغلب ٠

وبجنوده الى سهول رانية وقلعة ديزه (زمبى)، فقد كان الجيش يسير بمحاذاة قاعدة جبـل كـوللار (كـوللارداغ) الذى يـكره نهر بانه ، الزاب الاسفل على الجريان فى منحنى كبير ، ويقع فى منطقة السليمانية فى بقعة اطلق عليها مؤرخوا العرب فى القرون الوسطى سهل شهرزور(١٠) وكانت تسمى فى الادوار التاريخيـــة القـديمة منطقـة لولومى ، لولوبى وزاموا •

وفى الوقت الذى كان سرجـــون وجنـوده يستجمون الراحة من عناء السفر فى سهل رانيـة قلعة ديزه وهـو المكان الاخيـر الذى يؤدى الى ميادين المعارك الحربية المقبلة • فى هـــذا المكان استعرض سرجون جنـــوده ومختلف قواتـه ثم دخل بهم منطقة الجبال •

ويجدر هنا ان نذكر ان سهل رانية يفصلهعن قلعة ديزه مرتفع جبلى صغير وترتفع الى الشرق منه مجموعة من الجبال ذات قمم عالية متصلة مع بعضها وينحدر من بينها نهر بانه (Baneh) وهى وعرة المسالك يستحيل اجتيازهـا • وبالنظـر الى وعورة هذه المنطقة فان هنـاك محـــاولات ثلاثة لاختراقها :ـ

الطريق الاول :

وهو عبور نهر بانه فى نقطة بيروز Berozh ولاجل التخلص من الوادى الجبلى السحيق الذى يعترض السبيل يجب الاتجاه الى الجنوب والشرق فى قوس عريض حتى الوصول الى بانه بمســافة ثلاثين ميلا نحو الشرق • وهذا على ما يظهر هو الطريق الذى كان ملوك الآشوريين الســـابقين يتعقبونه بعد اختراقهم سهل رانية وزحفهم نحو الجنوب الشرقى فيؤدى بهم الى بلاد ميديا •

الطريق الثانى :

وهو تعقيب الضفة الشمالية لنهر بانه والاتجاه نحو الشرق فى ممر جبلى ملتو ينفرج بعده الى جبال شامخة وعرة المسالك تشكل سدا منيعالايمكن اجتيازه • غير ان هناك طريقا ضيقاً جـدا متعرجا يمر من فوق المرتفعات الجبلية التى تشرف على الوادى المذكور من جهته الشمـالية ويؤدى بعد اجتياز احد هذه المرتفعات الرئيسيـــة الى القـرية الحديثة المسماة زردشت • وهذا الطريق لا يصلح لمرور جيش مجهز بالعـربـات وآلات الحصـار الميكانيكية الثقيلة ولذا لم يستعمل مطلقا من قبل الآشوريين •

الطريق الثالث :

وهو الذى يسير بموازاة نهر وزنا Wazna Su الذى ورد ذكره فى النص باسم بويا Buiaوهو الطريق الحالى الذى يستعمل لسير البغـــال من منطقة كوى سنجق حتى الاصقاع الواقعة حول بحيرة اروميا والبلاد الواقعة فى شمالها الشرقى• ان النقطة الرئيسية التى تتفرع منها هذه الدروب الجبلية هى سهل بشدر الصغير الذى يكون مسرحا على شكل مرقص يونانى جميل Amphitheatre

(١٠) وصف ياقوت فى كتابه معجم البلدان الجزء الثالث ص ٣٤٠ شهرزوربأنها « منطقةواسعة تقع فى الجبال بين اربيل وهمدان » • ويتاخمهذه المنطقة جبل كللار •

ترتفع جهاته الثلاثة فى الجو الى ارتفاع ١٣ الف قدم فى بعض الامـاكن ، وينصب فيـه نهر وزنا القادم من الشمال الشرقى ولكن سرعان ما ينعطف الوادى نحو الشرق مع ميلان قليل نحو الشمال فلا يمكن للواقف فى السهل اقتفاء أثره • وتطل عليه مجموعة كثيرة متراصة من الصخور الشامخة التى تكسوها الثلوج حتى فى تمـوز ثم تمتد فى خط مستقيم تلتحم بهـا ثلاث سلاسل جبليـة على شكل ربع دائرة • وهنـا فى مكان شـامخ يبلـغ ارتفاعه ١٨ الف قدم تقريبا تقع قلعة ديزه وكلما ازدادت هذه الاماكن ارتفاعا امتدت معها احزمة من الغابات تناطح اشجارها الغيوم وتمتد على طول جبال زاجروس باتجاه الجنوب حتى مدخل بلاد فارس بالقرب من سوسه ومن جهة الشمال حتى بهوتان Bhotan فى تركيا حيث تنمـو فى هـذا المكان اشجار البلوط المتشابكة والكمثرى البرية والسماق والزعرور واشجار جبلية كثيرة اخرى بكثافة كبيرة حتى انها تشكل ظلالا مستديما بينما تنمو فى قعر الوادى اشجار الجوز الضخمة التى تنغرس جذورها فى مياه دائمة الجريان • وعندما دخلت قوات سرجون هذا الوادى اخذت تخترق هذه الغابات الكثيفة التى تلقى ظلالا مخيفـا حالما يخيم المساء وظلاما حالكا عندما يرخى الليل سدوله ولكثافة هذه الغابات الشديدة يصبح النهار معتما • ولكثرة انحناءات نهر وزنا نجد ان طريق القوافل يقطعه ستا وعشرين مرة قبل ان يفكـر سرجون بالتخلى عن عبوره وعزمه على شق طريق واسع خلال الكتلة الجبلية الضخمة التى تقع وراءها منابع نهر الزاب الاسفل فى سهل لحيجان Lahijan (١١) فشكرا للاله ايا وللالهة بيلت ايلانى (سيدة الآلهة) اللذين وهبا سرجون الفطنة وسرعة البديهة بمعرفة مستلزمات هذه المهمة الخطيرة ، فأرسـل امـامه العمال الميكانيكيين وفرق الهندسة فشطروا بفؤوسهم البرونزية الجبل الى قسمين وأزالوا صخوره المخيفة بسرعة كمن يزيل حجارة البناء العادية • وهكذا شقوا طريقا صالحا لسير المركبات الحربية الثقيلة وسار سرجون فى المقدمة يفتتح الطـريق بعربته الملكية ومن ورائه بقية الجيش وكانت الخيـالة والمشاة تجتاز اعالى هذا الممـر الوعـر كالنسور الضارية يتبعهم العمال والبناؤون وفرق الهندسة • وتسلقت الجمال والحمير قمم هذا الممر كالماعز الجبلى الذى يعيش فى هذه المنطقة وكان يلحق

---

(١١) ويتساءل F. Thureau-Dangin فى كتابه عن الحملة الثامنة عن السبب فى عدم اعادة سرجون ذكر الزاب الاسفل فى حملته ولماذا وجد من الضرورة شق طريق جديد فى الجبـال بينما نجد اسلافه واصلوا زحفهم فى هذه المنطقة بدون اللجوء الى هذه العملية • ان الحقيقة الاولى قد تقارب نظريتنا وهى ان سرجون استغنى عن عبور الزاب عند قلعة ديزه •

ثانيا من السهل احتمال وقوع هذه العملية من قبل سرجون لانه كان من المنتظر ان يهاجم فى زحفه هذا مدنا وقلاعا كثيرة محصنة تحصينـا منيعا ولذا فانه نقل معه دبابات الحصار وآلات التخريب الثقيلة • ولم يسبق لملك آشـورى ان زحف نحو الشمال الشرقى بمعدات حربية ثقيلة كهذه ولذا فقد كان من المتوقع توسيع الطرق وفتح طريق يصلح لسير هذه الآليات والتجهيـزات الحربية الاخرى •

بهم جيش المخيمات(١٢) وباجتيازهم المرالمذكور وصل سرجون بجيوشه السلسلة الجنوبية لجبل قنديل (جبل زميريا Simirria) الذى قمته امتدت فى الجو كالحربة وفى نهايتها تسكن الالهة بيلت ايلانى ، وهذه القمة شاهقة العلو والجبل فى عظمته وامتداد منحدراته يخيل ان قاعدته تمتد منحدرة الى العالم السفلى أرللو Arallu كذلك فقد كان واديه السحيق مخيفا لدرجة لا يقوى المرء على النظر الى عمقه ، وامتداده الشرقى يشكل السد الغربى لوادى زردشت • وفى الواقـع ان هـذا الجبل يتكون من سلاسل جبلية سبعة(١٣) مغطاة بالنباتات والورود ولاسيما الزهرة المعروفـة عنـد الآشوريين باسم « كرشو » ذات الرائحة العطرة وفى واديه ينتشر شجر الدفلة بكثرة واستمر حتى غير سرجون اتجاهه نحو الشمال الى سهل لحيجان الذى تلتقى فيه فروع نهر زى Zee (١٤) وعندئذ يسهل عبوره • وقد عبر سرجون بجيوشه فى هذا المكان نهرين(١٥) كان ارتفاع مستوى مياههمـا على اشده ، بدون ان يلاقى مشقة تذكر كمن يجتاز جدوليـــن ، فبلغ منطقتيـن كانتا تدعيـان كرللا واللابريا(١٦) وتقعان بجوار ممـر خوارزيمـان زينـو Khwar Zeiman Zenu(١٧) حيث يقـع بجـواره حصن زينـى خنـو Sinihinu التـــابع للملك مناى(١٨) وقد بدأت من هذا المكان العمليات

---

(١٢) ان ارتفاع قمة الممر اكثـر من سبعـة آلاف قدم وتقع على خط العرض الشمالى ٣٦ درجة و ٢٣ دقيقة وخط الطول الشرقى ٤٥ و٢٠ • وبعده بميل واحد يصبح المرء فى الجهة الايرانية عند القرية الصغيرة : (الوطن) وعندها عين ماء •

(١٣) سينـــا هلـــزى Sinahilzi ، بيروآتى Biruatti ، ترتـانى Turtani ، سينابر Sinabir ، احشورا Ahshura وسويا Suia وقد ورد ذكرها فى النص الآشورى •

(١٤) يدعى النهر الذى يجرى خلال زردشت باسم جام اى كلوا Cham-i-Kalwa ويطلق عليه هذا الاسم اثناء جريانه فى الوادى الاسفل كما يسمى زى Zee عند جريـانه فى الـوادى الاصلى •

(١٥) يدعى ربا Rappa وأراتا وقد يدعى لاوين Lawen اما الفرع الثانى فليس له اسم• والطريق يستمر بمحاذاة الشـاطىء الايمن لنهـر آفاجــار Avajar الى بلـدة سـوج بـولاغ Soujboulagh (مهاد آباد Mehadabad)•

(١٦) ومن المحتمل انهـا وادى زردت الاعلى والاسفل ويعتقـد تورو دانجان فى كتابه الحملة الثامنة ص ١٧ انهـا اللابريـا وتشمـل بعض مجارى نهر ططيفو Tatewo

(١٧) ويقع الممر على بعد اربعـة عشـر ميلا غرب سوج بولاغ (مهاد آباد) على الطريق المؤدى الى راوندوز •

(١٨) وقلعة كهذه يجب ان تقع على ملتقـى الطرق او الانهار • فجانب زردشت الذى يشرف على الممر يتوفر فيه كلا الشرطين هذا بالاضـافة الى روابيه الممتدة المعروفة باهميتها ومناعتها فى الازمان القديمة •
وقد نشر (M. Aurel Stein) فى كتابه :
Ancient Routes in Western Iran, pp. 374-75.
دراسة استكشافية عن هذه الـروابى ولاسيمـا الواقعة حول قلعة بازوه Qala'h Paswa
والى شرق هذا الممر يوجد مكان مهم تقع عليه قرية دىبكر (Debakr) الصغيرة حيث تلتقى عند النهر اربعة دروب جبلية ولعل مدينة سينى خنو تقع على احد هذه الدروب او ابعد من ذلك نحو الشمال الشرقى حيث تقع اليوم سوج بولاغ•

العسكرية لحملة سرجون الكبرى التى تتميز بخاصيتين مهمتين :ـ

الاولى : الحملة السياسية والثانية : الحملة العسكرية .

اما الحملة السياسية فان سرجون قبل عزمه على الهجوم على اورسا (Ursa) وجد انه من الضرورى التحالف مع القبائل الساكنة فى هذه المنطقة وجذبهم الى جانبه ، فوجه الرسل الى رؤساء القبائل فى ثلاث مناطق مهمة طالبا منهم تقديم الطاعة وتجديد الاخلاص فى غضون يوم أو يومين حسب بعدهم عن مقر قيادته ولم تمض ثلاثة ايام أو أربعة حتى جاءت الرسل برؤساء قبائل المناطق الاولى والثانية يقدمون الطاعة والخضوع للملك سرجون ويضعون انفسهم تحت تصرفه ثم لحقت بهم رؤساء قبائل المنطقة الثالثة فدخلوا فى طاعة الملك .

كانت هذه المناورة السياسية ضرورية بالنسبة الى استعدادات سرجون العسكرية وعملياته الحربية المقبلة . ولما اقترب من حصن سينى خينو تهافتت لاستقباله الوفود وكانت اولاها من عاصمة المنائيين (ايزرتو[١٩]) وخرج اوللوسونو مع حاشيته واشراف بلدته وافراد عائلته وجميع رؤساء وشيوخ بلاده يستقبلون العاهل الآشورى العظيم فرحين مستبشرين ويحيونه بملء قلوبهم على قدومه لنصرتهم وليثأر لهم من الاعداء . فقدموا له الهدايا من الخيول المطهمة بفرسانها وقطعان الماشية وقبلوا اقدام سرجون دلالة الشكر والامتنان .

وانتهت احتفالات الاستقبال ومراسيم الطاعة فواصلت القوات المتحدة زحفها على طول النهر الذى يجرى الى مدينة صوج بولاغ حتى وصلت مدينة لتاشى Latashe الواقعة على نهر لاروت Laruete ضمن بلاد اللابريا[٢٠] وعندما اقتربت جيوش سرجون من هذه المدينة جاءهم منها رجل يسعى يدعى بيل ابل ادنا (Bêl-Apal-Iddina) من اللابريا فقدم لسرجون الجزية والهدايا من الخيول والابقار والماشية . واستراح سرجون فى مدينة لتاشى التى تقع آثارها اليوم بكل تأكيد بالقرب

---

(١٩) لقد اتفق جميع المؤرخين ان ايزرتو كانت فى مكان مدينة ساقز Saqiz الحالية . ولم يدخل سرجون المدينة ولكن المراجع الاخرى تؤكد دخوله فيها ـ راجع :ـ
Olmstead, Assyria, pp. 230-31; Thureau-Dangin, Relation de la Huitième Campaigne p. IV.

(٢٠) وهذه المقاطعات لا تعود الى بلاد اللابريا والمنائيين ولكن تضم بالاستيلاء اليهما من وقت لآخر . وكثيرا ما تتغير اسماؤها كما هى الحالة فى برسا ، برسواه برسواش . والتسمية التى وردت فى نص سرجون هى التى كانت تستعمل فى سنة ٧١٤ ق. م. وكانت مواقعها لا تبعد الا بمسافة ١٢ ميل عن سوج بولاغ (مهاد آباد) حيث يلتقى النهر بالسهل فى منطقة تجتمع فيها اربعة دروب جبلية . ويشاهد المرء فى هذا المكان اطلال مدن قديمة وكهف فهريقا (Fahriqa) ثم جداول واقنية للرى شقت خلال الصخر ، ووجود آثار كهذه لا شك انها تدل على وجود قصر عظيم مهم كان قائما فى الازمان القديمة يرتاده المسافرون للاستجمام من عناء السفر وقد وصفه سرجون :ـ
Aurel Stein, Ancient Routes in Western Iran, pp. 392-93; Herzfeld, Iran in the Ancient East, pp, 194-95,
وعن اهمية كهف فهريقا راجع : Cameron, History of Early Iran, p. 182.
ولاروت هو نهر سوج بولاغ .

من القرية الحديثة يوسف كانى الواقعة على النهر • وبعد مسيرة يوم باتجاه الشمال وصل سرجون سهل سلدز (Sulduz) الممتد على طول نهر كدر الاسفل Gadar (٢١) ومن هناك وجه الرسل ثانية لتبليغ القبائل المجاورة بارسال ممثلين عنهم لتقديم الطاعة وتجديد الولاء ودفع الجزية والهدايا وقد فعل ذلك سرجون لالقاء الرعب فى قلوب حكام المقاطعات المجاورة فتصلهم الاخبار عن الجيوش الجرارة الزاحفة ومعداتها الهائلة وبذلك يمكنهم استقبال الملك سرجون فى اقرب مركز من مراكز مقاطعاتهم وتقديم الاحترامات اللازمة له والخضوع والولاء ودفع الجزية والهدايا • وقد تم ذلك بالفعل فقد كان من بين المستقبلين حكام من بلاد نمرى Namri ومقاطعة مرفيان Marivian

---

(٢١) وتدعى فى النص برسوآش Parsuash وقد يبدو اختلاف بسيط فى كتابتها كما ان ذكرها يرد مع بلاد نمرى Namri وبذلك يتعين لنا زمن اهميتها وهو القرن الثامن والسابع ثم موقعها وهو على طول الساحل الجنوبى الغربى من بحيرة اروميا ، واسم هذه المدينة من الدلائل الخطيرة على وجود مستوطن وقتى للقبائل الميدية التى هى قسم من الايرانيين هاجرت الى جهة الجنوب وسكنت بصورة دائمية فى فارس •ولقد اجمع العلماء على ان الفرس (فرسا Parsa) لا زالوا قبائل رحل على ايام سرجون • والاختلاف الوحيد يتناول معرفة اتجاه هجراتهم والطريق الذى سلكوه فيقول هرتسفيلد مؤكدا « ان القبائل الايرانية لم تكن تتحضر وتستقر فى مكان معين على ايام شلما نصر الثالث •••• ولكن جميعها أتت خلال باب بحرقزوين وراجا Raga •والفرس Parsua كانوا اكثر القبائل الايرانية هجرة وقد انحدروا من هضبة همدان الى المقاطعات المنخفضة الواقعة حول كرمانشاهان واخذوا يهاجمون آشور وبابل • وقد اعقب الفرس بالهجرة والزحف الميديون فحلوا فى همدان وكلتا القبيلتين اتبعتا فى هجرتهما من راجا الى الغرب نفس الطريق الجبلى الرئيسى •

والفخذ الثالث من هذه القبائل والمسمى ازاكرتا (زكرتو) Asagirta = Zikirtu هاجر سالكا الطريق الجبلى راجا ــ قزوين Raga-Qazwin نحو توريز (تبريز) وتقدم مجتازا هذه المدينة ولكن الاراراتيين اوقفوا هجرتهم عند حدها •••

ولعل من جملة الاسباب التى اضطرت الفرس (فارسا Parsa) الى الهجرة رفضهم الخضوع لعبودية آشور وكان ذلك بعد سنة ٦٩٧ ق• م• وقبل سنة ٦٦٠ ق• م• .... (Herzfeld, Iran .... pp. 193-94).

وهذا هو السبب فى وجود اسم مدينة فرسواش او برسواش قرب بحيرة اروميا • ويعين البروفسور كمرون مدينة فرسواش فى كتابه History ... p. 142« فى غرب البحيرة • وهذا هو اول مكان ينزل فيه الفرس فى طريقهم الى فرزوماش ومن ثم الى فارسا » • ووجهة النظر المذكورة تنطبق على ما جاء فى النص كما ويتضح انه كانت على الاقل جماعة من الفرس تقطن حول مصبات الانهر فى الجنوب الغربى من بحيرة اروميا• وفى سنة ٧١٤ ق• م او بعدها هاجرت الى منطقة سنا ــ كرمنشاه Sinna-Kermanshah قبل ان تستوطن نهائيا فى فارس تاركة آثار اسمائها الفرسية فى ثلاثة مناطق :ــ

(Olmstead, Assyria, 155, 159, 177, 231) ولا توجد لدينا بينات عن سعة امتداد مستوطنات فارزواش نحو الشمال ولكنها تشمل بلا شك جميع منطقة نهر كدار (أشنو) Ushnu وزلدز Sulduz • وفى هذا السهل توجد عشرات من التلول المعروفة وجميعها تشير الى منطقة كانت آهلة بالسكان فى الازمان القديمة •

وافرومان Avroman ومن مقاطعة سنكيبوتو Sangibutu (وهى البلاد التى تعرف اليوم كناى سلماس Gunay-Salmas) والواقعة شمال بحيرة اروميا ثم من بيت عبدادانى Bît-Abdadani (كروس) ثم من بلاد ميديا القوية(٢٢). ولما تمت مراسيم الطاعة واصل سرجون زحفه فى اليوم التالى الى مدينة مصى (Missi) التى ظهرت لحسن الحظ بأن موقعها بلدة طاش‌تبه الحالية(٢٣) التى تبعد ١٥ ميلا الى الشمال الغربى من قرية ميان دوآب Mianduab الواقعة عند مصب احد الروافد لنهر ططيفو الذى يصب فى بحيرة اوروميا .

وفى الوقت الذى قامت جيوش سرجون بالزحف نحو الشمال والغرب عقد اللوسونو اجتماعا ثالثا فى حصن سردكا Sirdakka (٢٤) حضرته جماعة جديدة من ممثلين لمناطق مختلفةفى البعد بعضها مسيرة خمسة او ستة ايام ثم جرت احتفالات مهيبة لاستقبال الملك سرجون وخرج الملك المنائى وحاشيته لمقابلة المنقذ العظيم بتذلل وانكسار ، فأشفق عليهم سرجون لما رآهم يحبون امامه على اربع كالكلاب يطلبون المغفرة والرحمة. ووعد سرجون على رؤوس الملأ انه ليحررهم جميعا من ضغط اعدائهم ثم مجد اللوسونو تمجيدا لم يسمعه حتى اجداده من قبل وذلك وسط مجمع المحتفلين الذين كان بينهم زيزى حاكم مقاطعة أباتر Apatar وزلاعيا Zalaia حاكم مقاطعة كتبت (Kitpat) ثم حكام بلاد

(٢٢) من زلدز Sulduz الى همدان مسيرة احد عشر يوما اما جميع المقاطعات التى وردت فى هذه القائمة فان المسافات بين واحدة واخرى ستة ايام وهذا ما يثير الملاحظة الى ان الميديين الاشداء ليس من الضرورى ان يكونوا فى منطقة همدان ولكنهم اقرب من ذلك بكثير ومن المحتمل انهم اولئك الذين سكنوا فى المنطقة التى تسمى اليوم تختى سليمان والتى لا تبعد سوى اربعة ايام فقط حسب التقرير الذى قدمه البروفسور كمرون الى الكاتب .

(٢٣) فى خاتمة القرن التاسع ق. م. غزا منوآش Menuash ملك ارارتو بلاد المنائيين من جهة الساحل الغربى للبحيرة واستولى حتى على الساحل الجنوبى منها . وبنى قصرا فى موقع طاش تبه اليوم . وقد كانت على زمنه المدينة الرئيسية للمقاطعة المسماة آنئذ مزتا Mesta . وعثر العلامة رولنسن Rawlinson على رقيم طينى يؤرخ تأسيس هذا البناء وبذا اصبح هذا الموقع الجغرافى مفتاحا لمعرفة المواقع والمدن التى ذكرت فى حملة سرجون الثامنة .

Rawlinson, JRGS, X. 12

C. F. Lehmann-Haupt, Corpus Inscriptionum, Chaldicarum, Texte-Band, 1. lfg. 45-47 dto., Armenien, Einst und Jetzt, I, 219-20

(٢٤) والتقدمات العسكرية للملك سرجون التى اعقبت ذلك فى هذه المنطقة تشير الى ان هذه القلعة كانت فى منطقة ميان دوآب Mianduab ذلك لان الزحف الثانى الذى قام به سرجون قطع فيه مسافة طويلة فى منطقة تختى سليمان Takhti-Suleiman وميان دوآب هذه ملتقى طرق مهمة ومجارى مياه كثيرة ولذا فهى تليق لان تكون وجهة المسافرين وان تقع على طريق مهم للقوافل وبينها وبين القلعة العظيمة مسيرة يوم واحد .

كزلبنـدا Gizilbunda [٢٥] وهى البلاد الواقعة وراء الجبـــال البعيـــدة المحـــاددة الى بـلاد المانئيين وهى منيعة وصعبة الوصول • فقد تفاخر سرجون بأن هذه الاماكن لم يصلها ملك قبله ولم يسمع احد باسمائها ولم يتمكن احد من اخذالجزية منهم وللرعب الذى اصاب هؤلاء الحكام من جراء جلالة الملك الآشورى ورهبته قدموا له الهدايا والتمسوا منه نجاة ارواحهم وحمـاية مدنهـــم المسورة المحصنة وقبلوا قدميه فى خضوع وذلة وتضرعوا اليه بالعفو والغفران ، فتقبلها • وفى الحقيقـة تبـودلت بين سرجـون وحكام هـــذه المقاطعات الهدايا ، فأشترى حيادهم وربح محالفتهم التى لها اهمية كبيرة فى حماية جناحى جيوشه الجرارة وبذلك تمت له التحضيرات الضرورية لحملته الواسعة • وقد كانت هذه الاستعـدادات عاملا مهما فى دفع فعالية جيوشه بسرعة فائقة الى

---

(٢٥) ويحاول هرتسفلد فى كتابه
Iran in the Anc ... pp. 195-96
مشابهة أباتر Appatar مع ابهار Abhar وكتبت Kitpat مع قزوين • فالاولى تبعد عشرة ايام على الاقل والثانية مسيرة اثنى عشر يوما مع العلم ان الاماكن المذكورة اسماؤها كثيرة القرب من بعضها والغـاية الواضحـة من عقـد هــذه الاجتماعات من قبل المشيخيات هى انضمامهم الى حلفاء سرجون لعزل العدو والحيلولة دون تحريضهم على معاداة سرجـون ويتكلـم المستـر Rigg فـى مقاله المنشور فى :ــ
Rigg: JAOS, LXII (1942) 130-38.
عن ايام قضاها سرجون فى الاحتفـالات وتقبـل الهدايا والمداولات السياسية • غير ان هذه الاعمال كانت كلها ثانوية بالنسبة الى خطته الرئيسية وهى التحضيرات السياسية للحملة العسكرية • ويجدر الملاحظة هنا أن رؤساء سنكيبـوتو قدموا لحضور الاجتماع فى فرسوآش بالرغم من وقوع بلادهم (سنكيبوتو) بعيدا وراء خطوط الارارتيين• وهذه الفعالية التى اشبه ما تكون بالرتل الخامس ما هى فى الحقيقة الا حركات خفية نادرة الوقوع وناتجة عن مناورات سرجون السياسية وتهديداته العسكرية • كذلك لها تأثير على تعيين موقع أباتر Appatar وكتبـت Kitpat لقربهمـــا من بعضهما واثرهما فى الحملة طالما ان ابهار وقزوين يبعدان كثيرا بحيث لايخشيان سرجون اويضطران على مساعـدته • فهـذان الموقعـان اللـذان نحن بصددهما يقربان من مدينة سردكا بمسيرة خمسة او ستة أيام وقد وردذكر قصركتبتيا Kitpattia فى بلاد بيت عبـداداني Bît-Abdadani على أيام تكلات بلاصر الاول (راجع
(LAR, Vol. I, §766
وهذا مما يعضد الاجتهاد المذكور آنفا ويؤكد ان موقعها بين مدينة تختى سليمان وبيجار ولماكان اسم مدينة ابتر قد ورد الآن بالقرب من هذه الاماكن فهى تقع ايضا فى نفس المنطقة المذكورة •

اما كيزلبنـدا Gizilbunda « فيظهـــر انهـا محجوزة ببلاد ميديا الشاسعـة » وهـذا احسن وصف يوضح مناعة هذه المنطقة وعـدم وجـود طريق اليها وهى قليلة السكان تحاددها سلسلة جبال كفلان كوه Kaflan kuh من جهة الشمال ثم تمتد نحـو الجنـوب مختـرقة بلاد انـكوران (Anguran)ومـن المحتمـل الى داخـل كرغـــان Karaghan حيث تلامس همدان عند الطريق الصاعد الى قزوين (راجع
Olmstead, Assyria, p. 158, Cameron, History of Early Iran, p. 196, Herzfeld, Iran in The Ancient East, p. 196).

وفى هذا التعيين تصبح زكرتوا بلادا جانبية وكان التحالف مع المشيخيات والرؤساء المحليين ضروريا قبل بدء الفعاليات العسكرية •

الامام كما مهدت الطريق لوحداته الآلية السريعة لتندفع الى تقوية حاميات الجيش الزاحف ودورياته المنتشرة فى اطراف منطقة زحف الجيش ثم للتغلغل فى جيوب العدو[٢٦] وكما سيظهر فيما بعد بأن العدو لايبعد الا عشرين ميلا عن مقر الجيش الآشورى وكل تقدم تقوم به الجيوش الآشورية سيؤدى حتما الى دخول سرجون فى منطقة « لم يدخلها ملك آشورى من قبل » .

ويبتدىء من بلدة سردكا سهل عريض يمتد باتجاه الشمال على طول ساحل اروميا الشرقى مما يسهل حركات الجيش وتنقلاته غير ان طلائع الاستكشاف افادت سرجون بأن متاتى صاحب بلاد زكرتو قد نصب فخا (كمينا) فى هذا المكان للقضاء على الجناح الايمن للجيش الآشورى ولذا فانه يجب التخلى عن الحركة المزمع قيامها على طول ساحل البحيرة كما يجب القيام بمناورة حربية تساعد سرجون على تطهير جناحه من قوات العدو المتغلغلة ثم لتقوية مؤخرة الجيش وتعزيزها وذلك قبل الالتحام مع ملك ارارتو الذى اتخذ مواضعه فى منطقة مراغه[٢٧] وقد الجأت هذه الخطة سرجون الى زحف طويل شاق مسافة ثلاثين بيرو (حوالى مائة ميل)[٢٨] وذلك للتماس مع دوريات وحاميات قوات العدو الاول متاتى ثم

---

(٢٦) ويدعى Rigg فى مقاله المنشور فى JAOS, LXII (1942), 130-38 بأن سرجون لم يقد الجيش بنفسه فى الطريق الداخلى ولكنه ادار حركاته التعبوية من مقر قيادته المشرف . وهذا الادعاء لا ينطبق على غير هذا الطريق اذ الاحتمال قوى من ان سرجون ارسل قوة كبيرة لتموين حصن بنزش وتطهير المناطق حول بردا من مكامن العدو واوكاره بينما بقى يتفاوض مع رؤساء المناطق المجاورة ويظهر ان قلة وجود التفصيلات فى النص الآشورى للحملة تبعث الى الاعتقاد بصحة هذه الاحتمالات وان مجرد نظرة على الخريطة لترى بأن سرجون بامكانه ان ينتظر فى سردكا بينما يرسل جيشا كاملا مجهزا بالمؤون والمعدات للذهاب الى بنزش والرجوع منها . وعندئذ يصبح من السهل على قوات سرجون وحامية بنزش الانضمام والهجوم مشتركا على اورسا .

(٢٧) ويظهر بعدئذ ان متاتى ملك زكرتو نزل الى ميدان المعركة بالقرب من صنجود (Sanjud) على نهر يغاتى (زرينا) Jeghati (Zarina) بينما كان اورسا فى جنوب مراغه . ولو كان سرجون قد واصل زحفه فى الممر الجبلى الآنف الذكر لتعرض الى هجمات متاتى من الجناح او المؤخرة ولذا فقد قرر الابتعاد عن هذا الطريق السهل الى طريق منحرف طويل واغتنم الفرصة لتطهير منطقة قلعة صنجود ــ سين Sanjud-Sain Qala'h قبلما يصطدم بأورسا . وعندئذ يتخلص من القتال فى جبهتين .

(٢٨) البيرو الواحد او « ساعتان » يعادل الاصطلاح الفارسى فرسخ ، وهذا يعادل ثلاثة أميال ونصف ، ويقدر العلامة تورو دانجين فى كتابه R. Huit. Cam., p. IV. البيرو بستة آلاف ميتر ، والمسافة التى نحن بصددها ، بين ميان دوآب وتختى سليمان تضاهى المائة ميل وهناك فى الوقت الحاضر طريق حديث للسيارات على طول طريق القوافل القديم بمنحدر نهر ططيفو وقد واصل سرجون الطريق القديم بموازاة النهر حتى وصل صاروق جاى بمسيرة نصف يوم حيث اصبحت المواقع الذى استحكم فيها متاتى معرضة لجناح قوات سرجون . ولا توجد قرية ما على طول هذا الطريق كما لم يرد شىء من ذلك فى نص سرجون .

سحق قواته الرئيسية بشن الهجمات على جناحيه . وقد جرى الزحف بالفعل نحو نهرططيفو الى نقطة يصب فيها نهر صاروق جاى Saruq Chai الذى يجرى ضمن ارض متموجة .

ثم عقب الجيش الآشورى مجارى نهر صاروق جاى الجنوبية حتى وصل الى حصن بانزش Panzish (٢٩) الذى يتاخم بلاد بيت كبسى Bît-Kapsi من الشمال والغرب وتقع بلاد ميديا القوية فى شرقها وبلاد زكرتو وأنديا فى شمالها(٣٠) وقد هجم هؤلاء الايرانيون

(٢٩) ويوجد فى الوقت الحاضر موقعان يختلف فيهما العلماء ، ايهما اطلال بانزش ؟ فالاول قرية تختى سليمان وموقعها الاستراتيجى معروف ومهم جدا . ثم قرية تيكان تبه وهى أقل أهمية من الاولى وتبعد بمقدار ١٦ ميلا الى الجنوب الغربى على فرع من نهر صاروق حيث يتقاطع الطريق الشمالى والجنوبى فى الطريق الشرقى والغربى الذى يصل زنجان بشمال العراق . وقرية تيكان تبه أكثر نفوسا من قرية تختى سليمان وفيها تل اثرى واسع عليه قلعة لاحد الحكام الايرانيين ومن المؤكد ان هذا التل الاثرى هو بقايا حصن عظيم من القرون الغابرة ومع ذلك فلا يمكن القول بأن مدينة بانزش كانت فى هذا المكان .

(٣٠) كانت بلاد زكرتو على زمن سرجون تشمل منطقة نهر كرنكو (Karangu) وتسمى اليوم هشترود (Hashtarud) وهى تمتد على شكل تقوس كبير يبلغ طوله اربعين ميلا الى جنوب وشرق جبال ساهند . اما بلاد انديا فقد كانت فى اقصى الشمال والشرق من زكرتو وقد ورد ذكرها فى كتابات الملك الآشورى اداد نيرارى الثالث عند كلامه عن الحملات التى شنها على هذه المناطق بين (سنة ٨٠٨ و٨٠٧) ق.م حيث يصفها .... « انها تقع بعيدا جدا ... وينحدر

المعتدون على بلاد مناى فتغلغلوا فى نقطتين ، الاولى باتجاه مدينة بانزش حيث يذهب منها طريق واحد الى زنجان ، والثانية صوب اواسط وادى نهر يغاتى (زرينا) Jeghati (Zarina) فاحتلوه . ولكى يتمكن سرجون من المحافظة على قواته فى بانزش وابقائها فيها حتى يتمكن من طرد الاعداء من منطقة اواسط نهر يغاتى قام بخزن كميات كبيرة من الاكل والسمن (الزيت) والشراب والمعدات الحربية فى مدينة بانزش(٣١) وهكذا فان الخطط والمناورات تمت جميعها وتكللت المحالفات السياسية والتحضيرات العسكرية بنجاح وتخلص سرجون من اخطار ومفاجئات محتملة الوقوع واصبح باستطاعته مهاجمة اعدائه المتحالفين واحدا واحدا .

وعلى اساس هذا فقد تغيرت وجهة الزحف تغيرا كاملا فغير الجيش الآشورى جهة زحفه نحو الشمال الغربى واجتاز نهر استرورا Istaraura فوصل مدينة بردا Parda التى تقع فوق المرتفعات المحيطة بكوى أكاج (Goy Agatch) ان الهدف الرئيسى من هذا الزحف السريع هو بلوغ واحتلال سين قلعه (Sain Qala'h)

الجبل حتى ابعد حدودها الى البحر العظيم حيث تشرق الشمس » :—

(LAR, Vol. I. § 739) ومن ذلك يظهر انها تشمل آجى جاى (تلخ رود) وهى ينابيع المياه الواقعة حول نهر أجان Ujan وسراب Sarab واردبيل Ardabil المنصبة فى بحر قزوين .

(٣١) لم يرد ذكر بانزش مرة ثانية . ومن الواضح ان هذه الخطة كانت مناورة بارعة اراد بها سرجون تأمين جناح قواته ومؤخرتها وحامياتها الخلفية لمدة بضعة اسابيع .

(آوكانه Aukane) التي انضمت مؤخرا الى زكرتو قبلما يقرر متاتي النزول في المعركة مع الجيش الآشوري • اما متاتي فقد كان في السابق مع الآشوريين وبمعنى آخر انه مع اللوسونو ولكنه اصبح عدوا في نظر سرجون لانه سلك سلوكا سيئا اذ ثار عليه وانظم الى اورسا ملك بلاد ارارات الذي اصبح الآن عاجزا عن مساعدة حليفه متاتي •

على ان متاتي قرر القتال لوحده فأرسل طلائع قواته وفرقا من مؤخرة جيشه من منطقة ساهند للزحف والقيام بحركات استكشافية في مسالك ومنحدرات سفوح جبل خواجه الوعرة (Khawaja Dagh) التي تنحدر من جبال ساهند(٣٢) على شكل لسان طويل باتجاه الجنوب، ولمراقبة واشغال تقدم الجيش الآشوري الجرار•

ثم جمع قواته الرئيسية وقام بحركة التفاف عبر جبل خواجه باتجاه الشمال(٣٣) وترك عاصمته بردا بثروتها لتنهب كاملة من قبل الجيش الآشوري الزاحف • اما جنود حامية مؤخرة قواته البواسل ذي العدد القليل الذين بقوا لمحافظة الممر الجبلي عبر جبال سورزان Sursan فقد ذبحوا وابيدوا عن آخرهم الا الفرسان (الخيالة) وقوات المشاة فقد تقهقروا مستترين بمسالك التلول والهضاب حتى تمكنوا من الالتحاق بجيش اورسا المرابط في الشمال • وهكذا تمكن سرجون بواسطة الحركات التعبوية من تطهير جناح قواته من هجمات العدو بنجاح تام • وسقط في حوزة

---

(٣٢) ان كلمة يوآش (Uash) ، يوش او يوآوش التي تظهر في تراكيب مختلفة ترجع الى مجموعة جبل ساهند وتسمى احدى مرتفعاتها بجبل يوآش ـ دركا • ولو ألقينا نظرة على الخريطة لرأينا سلسلة طويلة تمتد الى الجنوب وتشكل خطا لتوزيع المياه بين نهر كرنجو (Karangu) المتجه نحو الشرق ونهر ليلان جاي المتجه نحو الغرب • وتنحرف هذه السلسلة نحو الشرق فتشكل سلسلة جبال خواجه داغ واعلى قمة فيها تعرف باسم مرمرداغ وتقع عشرة اميال شرق سين قلعة • ويمتد من خواجه داغ لسان جبلي جانبي نحو الجنوب ويشكل سدا يقسم مياه نهر قره جاى Qurah Chai (التي تنصب في نهر يغاتي) ومياه صاروق جاي (وهي مياه كثيرة أخرى من نفس النهر) • وهذا هو ممر سورزان حيث جرت فيه المناوشة •

(٣٣) ويعتقد تورو دانجان في كتابه :ـ
R. Huitième Campaigne, p. IV.
أن سرجون عبر سلسلة جبال خواجه داغ وان نهر استرورا فرع من نهر كرنجو •

وتوجد صعوبات واضحة لهذا التعيين فقد ذكر سرجون ان متاتي تسلق جبل يوآش ديركا تسلقا مريعا اما سرجون فلم يجتز ممرا مطلقا ومن ثم طرد متاتي من المنطقة ودخل مكانا عامرا فيه اثنتا عشرة مدينة مسورة واربع وثمانون قرية اما ينابيع نهر كرنجو فلا توجد حواليها قرى ولذا فان الوصف ينطبق على الطريق المؤدي الى سين قلعة • ونهر استرورا هو نهر صاروق وساتوريق Saturiq أستروق هو الاسم القديم للنهر المذكور وقد ورد ذكر ما يشبه هذا الاسم في نص سرجون • ويستمر الطريق بالصعود وراء مضيق سرزان فيجتاز صنجود (Sanjud) الى وادي نهر يغاتي حيث تكثر القرى على طول جانبي النهر • والمدن المسورة الواردة ذكرها تتوسط هذه القرى ومجاري الانهار الصغيرة التي تصب في النهر •

سرجون وادي نهر يغاتي بمدينته الرئيسية (آوكانه) Aukane مع احدى عشرة مدينة محصنة مسورة (بضمنها اربعا وثمانين مستوطنا)(٣٤) تعود الى اقطاعيات رئيسية مختلفة . وقد نهب الجيش الآشوري جميع هذه المدن والقرى ودك اسوارها وتحصيناتها واضرم النيران في سقوف بيوتها حتى ما كادت عاصفة الجيوش الآشورية تنتهي من اكتساحها الا وتركت اكواما من الخرائب والاطلال عاليها سافلها .

وزحف الجيش الآشوري من مدينة آوكانه Aukane (سين قلعه شاهندزه -Sain Qala'h-Shahindezh) الى نهر ليلان Lailan معقبا الشاطىء الايمن لنهر يغاتي في الطريق الذي ينعرج نحو الشمال الى مدينة مراغة(٣٥). وفي الواقع ان زحف سرجون لم يزد بعدا عن سردكا سوى اثنى عشر ميلا حيث ينعرج الطريق في انحناء طويل لم يفده من الناحية العسكرية الا بتأمين جناح قواته ومؤخرة جيوشه من الخطر . وفي اثناء زحفه وردته المعلومات من طلائع قواته الاستكشافية بأن اورسا قد اكره على الانسحاب الى مضيق جبال ساهند والاعتصام فيه . وتمتاز هذه المنطقة بتحصيناتها الطبيعية التي تساعد على الدفاع وتكره العدو على الحروب الموضعية البطيئة ففيها نهر مردي جاي Murdi-Chai الذي يجري مخترقا السهل الساحلي الشرقي لبحيرة اروميا فيعترضه لسان بارز من جبال ساهند حيث يضطره الى الانحناء نحو الجنوب الغربي بينما يمتد اللسان الجبلي الى الجنوب على هيأة تلول كثيرة ثم يصعد نحو البحيرة بهيأة جرف متعرج ممتدا بين القرية الحديثة بناب Binab ومالك كندي Malik Kandi الواقعة جنوبا في السهل . وفي هذه المنطقة الجبلية نتوءآت صخرية احداها ترتفع الى نحو ١٢٠٠ قدم عن مستوى السهل وعندها ثلمة سحيقة يخترقها ممر جبلي ارتفاعه ٢٠٠ او ٣٠٠ قدم وبذلك فان هذا المكان يشكل سدا منيعا باستطاعة جيوش اورارتو وزكرتو المتحالفة ان تحتمي وراءه . ولم يستطع سرجون اثناء اقترابه من هذا المكان رؤية الانخفاض الخصب الذي يقع وراء هذه المرتفعات الجبلية والبساتين والقرى المنتشرة فيه ولا سيما حول وادي نهر صوفي المحيط بمدينة مراغة حيث ينتظره اعداؤه ولكن لم يخب ظنه بجمال طبيعة هذه المنطقة كما ايدتها تقارير المخبرين . وتراءت للملك سرجون جبال ساهند الشاهقة التي تجاوزت قممها الغيوم وارتفعت الى وسط السماء ، تلك القمم التي

---

(٣٤) ان المدن الاثنتي عشرة المسورة هي : اشتائبا Ishtaippa ، سكتاتوش Saktatush ، ننزو Nanzu آوكانه Aukane ، كباني Kabani ، كرو زوبا Gurrusupa ، ركسي Raksi كمدكركا Gimdakrikka ، برونكا Barunakka ، أبارا Ubbara ، ستيرا Sitera ، تشتامي Tashtami وتساميا Tesammia ويظهر ان اسماء هذه القرى لم تبق الى اليوم ويوجد عدد كبير من التلول الاثرية حول آكتبه Aktapa وكاكاتبه Kaka Tapa كما يوجد تل كبير عند سين قلعة وجميعها مسكونة .

(٣٥) فلو لم يرافق سرجون هذه القوات المسلحة لكان نهر ليلان هو المكان الذي تتجمع فيه القوات للمعركة المقبلة .

لم تعبرها روح بشرية لحد ذلك الوقت(٣٦) ولم يطر فوقهـا طائر وقد ثقبت السمـاء كالخنجر وجوانبها منحدرات مهلكة مكسـوة بالجليـد . فأدرك سرجون مهارة اعدائه في اختيـار المكان واحتمائهم وراء التلول الامامية لجبال ساهند كما شعر بتعب جنوده الذين اعيـاهم قطع المسافـات الطويلة وتكبد المشقات وانهكهم الظمأ .

وعندها وجه متاتي الرسل الى سرجون ينذره بالعودة ويهينه وجيشه المنهوك القوى ، غيـر ان سرجون اجابه برفع السلاح مصليا الى الآلهة مردوخ وشماش والآلهة الآشورية الاخرى لينصروه على الاعداء ويؤكدوا له الظفر ويمنحوه القوة والشجاعة للقضاء على غطرسة اعدائه والوقوف على جثثهم .

ومع ذلك كله فان سرجون لم يكن واثقا من الاعتماد على مساعدة جيوشه في هذا الكفـاح لذا فقد خط بيده النصر لنفسه فهجم بعربته كالسهم الخاطف على المكان الذى صمد له فيـه اعـداؤه المتحالفون ومعه حرسه الخاص فقط(٣٧) فاخترق صفوف الاعداء ومزق جموعهم وانزل بهم ضربة قاضية لاذ العدو على اثرها بالفرار ذات اليميـن وذات اليسار بعد ان تكبدوا خسائر فادحة وتمزقت اجساد معظم جنودهم اربا اربا وامتلأت الوديان بجثثهم ودمائهم فصبغت بهـا الارض كمـا يصبغ الثوب .

واستمر سرجون فى هجومه الخاطف متجها الى مقر قيادة ارارتو فأخترقه وقطع رقـاب عدد كبير من اشرافهم وأسر مائتين وستين أميرا من اقرباء الملك . اما متاتي فقد ترك عربته وامتطى فرسا ولاذ بالفرار على عجل . وقد نتج عن هـذا الهجـوم الخاطف الذى قام به سرجون على مجمع العدو ان عزل قوات اعدائه بعضها عن بعض فشتتهم جماعات جماعات وبعثر قواهم وشل فعاليتهم . وكان من امر اورسا ان هرب الى الغرب والشمال وباشر متـاتي يتقهقـر الى الشـرق ـ الى بلاده الاصلية ـ غير ان سرجون واصل تعقيب فلول المنكسرين عازلا عددا كبيرا من قواتهم الخلفيـة فى الوقت الذى اخذت قوات العـدو الرئيسيـة تهرب فوق التلول كالنمل المضطرب ، وامتدت حركة التعقيب من ميدان المعركة فى القرب من مالك كندى الى مسافة ستة بيرو (٢٢ ميل) عبر

---

(٣٦) ويسمى الجبـل فى هذا المكان جبـل يوآوش Uaush ولا شك ان الوصف الشعرى الذى ورد فى نص سرجون مبالغ فيه . فقد عبرت جبال ساهند سبع مرات بدروب جبلية مختلفة . ويبقى الثلج فى فصل الصيف فى الاقسام المظللة طوال السنة وتذوب فى أوائل شهر آب فى المنحدرات الجنوبية . ولما اقترب سرجون من هذا الجبل لم ينس ان يذكر وادى صوفى جاى السحيق . ومن المحتمل ان جبال ساهند ورد ذكرها فى آفستا بأسم جبل أزنافند (راجع :ـ
Jackson, Persia, p. 38, Herzfeld, Archaeological History of Iran, p. 19, and AMI, IX, 173-74.).

(٣٧) عرف سرجون ان تحالف اعـدائه كان تحالفا سطحيا وان كلا منهم سيلوذ بالفرار ويطلب النجاة حالما تتراآى لهم دلائل الهزيمة ـ وبعبارة أوضح أن اورسا سيتقهقر الى الغرب ومتاتي نحو الشرق . وقد كانت النقطة الحساسـة القابـلة للانثلام ، قرب الوسـط .

وادي نهر مردى جاى الى ينابيع نهر ليلان جاى الواقعة عند جبل آك داغ وحافـات جبل خواجه داغ الذى يدعى فى أيام سرجـون بجـبل زمر (جبل الشب) وهـو بمثابة خط لتقسيم المياه بين بحيرة قزوين وبحيرة اروميا(٣٨) وهنا عند حدود بلاد زكرتو وأنديا وقف سرجـون وذبح القرابين للنصر وصلى داعيا بالموت والفنـاء لاعدائه « رش عليهم زعاف الموت » • ثم قرر سرجون بأن الارهاب الذى احدثه فى هذه المنطقة يكفى لاعادة وحماية سمعة آشور وشرفهـا ولذا فقـد قفل راجعا من تعقيب متاتى وباشر يجمع الغنائم والاسلاب الحربية ولاسيما فى منطقة (أواشدش) Uishdish (٣٩) التى تشمل وادى نهر صوفى جاى الخصيب المحيط بمدينة مراغة بقراه التى لا تعد ولا تحصى كالنجوم المتنـاثرة وبسـاتينه الكثيرة ، وقد اكتسحتها الجيـوش الآشـورية باجمعها ودكت اسوارها وسلبت أكلهـــا وقضت على كل مقاومة فيها ثم ألحقت هذه المقاطعة بادارة اللوسونو الذى انتقم الآن لنفسه للاساءات التى وجهت اليه • ثم زحف سرجون من (اواشدش) (مراغه) حول الجانب الغربى لجبال ساهند الى اشكيا (أسكى) الحصن العظيم(٤٠) ولكن لكى

---

(٣٨) ان ينابيع نهر ليلان تتجمع من اماكن تبعد بين ١٢ ـ ٢٢ ميل شرقى مراغه •

(٣٩) ويطـابق هرتسفيلـد فـى كتـابـه (AMI, IX, 166) بمدينة مراغة بالمدينة التاريخية أشكايا (Ushkaia) • وكما سيظهر فان اشكايا قد تكون اسكى (Uski) الواقعة قرب تبريز •

(٤٠) وتقع اسكى عند رأس الوادى فى مكان مرتفع يطل على المنحدر الشمالى الغربى لجبـال ساهند ويبلغ ارتفاعها ستة آلاف قـدم ولـما كان موقعها على طريق ينحرف انحرافا عظيما بين مراغه وتبريز لذا فهى تتحكم بطريق مقوس يتفرع الى ثلاث جهات •

وقد حدث قبل مائة سنة ان عصابة من قطاع الطرق تعرف لدى المحليين باسم أسكـى لوتى لر اعتصمت فى هذا المكان واخذت تسطو على القوافل الذاهبة الى الشمال والغرب والجنوب وتنهبها • وقد بقى هذا المكان الحصين مأوى للعصـابـات وقطاع الطرق حتى سنة ١٩١٩ •

وان الادعاء أن أشكايا هى أسكى يتعارض مع رأى المستر رك :ــ

Rigg, JAOS, LXII (1942), 134-35, الذى يعتقد ان اشكايا ، أنياشتانيا Aniashtania وبارو (Baru) تقع فى منطقـة السليمـــانيـة أو فى جنوب بحيرة اروميا وان سرجون لم يتقدم بزحفه الى شرق وشمال البحيـرة (راجع نفس المصدر السابق ص ١٣٦ ــ ١٣٧) وذكر بضعة مرات من ان سرجون واصل زحفه فى جنوب وشرق بحيرة وان وبحيرة اروميا ، ويعين فى ص ١٣٥ من مقاله موقع جبال ارزابيا Arzabia وارتيا Irtia « فى مكان ما بين (او فى مكان ما فى جنوب وشرق) بحيرتى وان واروميا » ، وكيف يمكن ان تكـون بين البحيـرتين ولما يـزل امـر وقوعها فى جنوب وشرق بحيرة اروميا مبعثا للحيرة والالتباس • ولو ان هذه الجبال تقع بين البحيرتين لظهر حسب اعتقاد المستر رك ان سرجون توغل بزحفه فى غرب البحيرة ولكنه لم يتمكن لحد الآن من معرفة هوية احدى النقاط والاماكن الجغرافية فى تلك المنطقة وحسب رأيه ايضا ان سرجون زحف كالبرق (طار) من اشكايا (فى سليمـانية) الى

يصلها الجيش الزاحف عليه ان يمر في حدود ارزابيا (بين البحيرتين) بدون توقف ٠

ان المدلول الوارد في هذا المقال من انسرجون تابع بزحفه الساحل الشرقي للبحيرة يرتكز بعضه على عاملين :ـ

الاول ـ هو ذكر لبعض اسماء جغرافية مثل (اشكايا ـ اسكى ، طورى تبريز Tawri-Tabriz سوبا ـ زبا ـ صوفيان Suba-Zuba-Sofian وألها ـ ألا Ulha-Ulla

والثاني ـ ان الوصف ينطبق تماما على هذه الاماكن ٠ فالناظر من اسكى عبر سهل تبريز يرى بوضوح صوفيان كما ذكر ذلك سرجون ، ثم ان وصف سرجون لمدينة ألها Ulha بأنها المدينة الرئيسية لمنطقة سلماس Salmas هووصف صحيح ينطبق تماما على هذه المنطقة وكذلك تنطبق المعلومات المفصلة التي وردت في نص سرجون عن اشكايا على وضعية اسكى اليوم ٠

ويعود المستر رك مرة اخرى فيجادل (ص١٣٢ من مقاله المذكور) « بأن سرجون اتبع طريقا اقصر مدعيا ان معظم هذه المنطقة الوعرة غير صالحة لمرور جيش ولا سيما كجيش سرجون المجهز بالمعدات الحربية الثقيلة ٠ » غير ان مارك انطوني سار بجيش قوامه مائة الف رجل في طريق اطول من الطريق المذكور في منطقة لا تقل وعورة عن التي نحن بصددها وكان ذلك في أواخر صيف سنة ٣٦ ق٠م (Plutarch, M. Antonius) ويذكر المستر رك في ص ١٣٧ من مقاله « بأن اكثر ما كان يتذمر منه الملوك الآشوريون ولاسيما المتأخرون منهم هي منطقة شمال بحيرتي وان واروميا لانها غير مألوفة لديهم » ٠ وقد ينطبق القول على بحيرة وان اما عن بحيرة اروميا فانه لا يوجد عنها وصف احسن من الذي قدمه الينا سرجون ابتداء من اللحظة التي وصل فيها مدينة اشكيا حتى المكان الذي غادر منهمنطقة سنكيبوتو ٠ فلو قارنا ملاحظات سرجون التي دونها في وصفه لطبيعة منطقة شمال بحيرة اروميا لوجدناها تنطبق حرفيا على وضعيتها الجغرافية الحاضرة الامر الذي يبعث على الدهشة والاستغراب ٠

بلاد ارارتو حيث تمتد جبال ساهند الى الغرب حتى البحيرة فتصبح قرية خانيكاه Khanegah الحديثة في الجنوب وكويكان Goygan في الشمال ٠

ولتقوية هذا الاستحكام الطبيعي ، قام ارسا بتحصين مدينة أشكيا التي يعد موقعها من اهم المواقع الاستراتيجية في تلك المنطقة ٠ ولايوجد الا طريق واحد يمتد من الجنوب الى الشمال على شكل ممر ضيق بين البحيرة وجبال ساهند بمسافات طويلة وتتحكم فيه قلعةاشكيا التي تشرف عليه وتصبح بمثابة حاجز يقطع الاتصال بمدينة زرندا Zaranda (Marand)[٤١] ثم يتجه الممر الى الشمال ٠ وتقع هذه القلعة المهيبة على انف جبل من جبال ساهند يدعى جبل ملو Mallu [٤٢]

(٤١) ويعتقد تورو دانجن في كتابه عنالحملة الثامنة فيص VII أن زرندا كانت تقعشرق تبريز ٠ ويذكر النص الآشوري أن مدينة أشكيا كانت تحجز طريق رسل سرجون الى زرندا ٠ وهناك سبب ضعيف لان يذهب الرسل الآشوريون الى شرق تبريز باتجاه أنديا او زكرتو ولكن بسيرهم حول البحيرة يجب ان يمروا بمدينة مراند ٠ ويعين تورو دانجن مدينة ألها في موقع مراند الحالية ولكنني بينت الاسباب الموجبة لان تكون ألها في مكان سلماسوحيثما كانت هذه المدينة فانها لاتؤثر في تنقل سرجون ٠

(٤٢) وتقع مدينة اسكى على جرف صخرى يطل على ملتقى نهرين ، يبلغ ارتفاعه ٥٠٠ قدم تقريبا فوق مستوى القرية والواقف فوقه يشرف على وادى نهر آجي جاى Aji Chai (تلخ رود Talkh Rud) ويرى صوفيان ومنطقة كوناى وهي منطقتا سوبى وسنكيبوتو اللتان ورد ذكرهما في نص سرجون ٠

تحيطها من الجانبين مجاري الينابيع الجبلية وتطل على سهل مدينة زوبى Subi (صوفيان)(٤٣) كعامود الحدود . وجميع هذه المنطقة كانت جزءا من بلاد المنـــأيين في الازمـان السـابقة ولكـن الارارتيين احتلوها منذ زمن بعيد بقيت ذكريـات الاحتلال عند اهلها الطاعنين في السن .

وقد استخدم اورسا مدينة اشكيا بمثابة حصن خارجي لشل اعمال جواسيس آشور . واستفاد من سكان مدينة سوبى في الحروب لانهم يشتهرون بالفروسية وكانوا فيما مضى في فرسـان الملك . ولكن عندما سمع اهالي مدينة اشكيا خبـر قـدوم سرجون لاذوا بالفرار وتحصن بعضهم في القلاع المنيعة ذات الاسوار السميكة التي يبلغ عرضها ثمانية اذرع واسسها من الصخر . غير ان الدبابات الآشورية توجهت اليها واخذت تقوضهـا طبقـة بعد اخرى حتى هدمتها وسـاوتها مع الارض ثم نهب الجنود الآشوريون ثروة المدينة وخزائنهـا وحملوها الى مقر قيادة سرجون واضرموا النيران في بيوت مائة وخمس عشرة قرية فتصاعدت منها على الاثر السنة النيران الى السماء كالبركان المنفجر . واحلوا الخراب بجميع القرى عبر آجـي جاى Aji Chai (تلـخ رود Talkh Rud) فـــي منطقة أنياشتانا Aniashtana (نفادي وكزل ديزه Nuvadi, Kizil Dizeh «القلعة الذهبية»(٤٤) ودمر الجيش الآشوري سبعة عشر مستوطنـا واضرم النيران في مستودعات الحبـوب وانتشـر كالجراد تالفا كل ما يجده امامه ، واخذت الماشية والخيول تهيم هائجة في المراعي والسهـول . ثم توجـه بعدهـا الجيش الى منطقـة بارو Baru (سردرود) المجاورة والتي تمون مدينـة اشكايـا بالمؤون والذخائر فاصطدم بالحصنين المزدوجيـن طوري Tawri وترمكيزا Tarmakisa الواقعين في سهل دالايا Dalaia (سهل تبريز)(٤٥)

---

(٤٣) ومن المحتمل ان مدينة سوبى Subi هي نفس المدينة الساسانية زبا (زوبا Zupa) وبلدة صوفيان الحالية (F. D. J. Paruck, Sassanian Coins) ولا شك ان العرب حرفوا اسمها التقديم الى الاسم الحالي . وقد رأى سرجون المدينة ، اذ كانت تقع على بعد عشرة اميال شمال طريق تبريز ــ سلماس ولكنه لم يدخلها .

(٤٤) ويسمى الجبل الممتـد عبـر النهـاية الشمالية لبحيرة اروميا ، بجبل مشاو Mishau وتوجد عند قاعدته منطقة غنيـة خصبـة تدعى كوناى Gunay (اى الجهة المشرقة) . وكوناى وسلماس ينطبقان تماما على وصف سرجون لمنطقة سنكيبوتو . وتقع بين كوناى وتبريـز ، حـول مجموعة من تلول قديمة محطات القوافل الذاهبة الى نفادى Nuvadi وكيزل ديزه Kizil Dizeh « المدخل الذهبى » وقد جاء في النص الآشوري عن هذه المنطقة ما يلي :ــ « ومدينة ايناشتانيا ، مأوى مواشيه ، تقع على حـدود سنكيبوتـو بين مدينتي اشكايا وترماكيزا وجميعها مع سبع عشرة قرية بما حواليها . » وهذا أحسن دليل على نوفادى وكذلك من المحتمل عن خسروف شاه التي تبعد بضعة اميال شمال اسكى .

(٤٥) لم تكن تبريز مدينة حتى القرن التاسع الميلادى وقبل هذا التاريخ كانت تتكون من مجموعة قرى في اسفل سفح جبل ساهند حيث تكثر العيون التي تنبع من اراضيها الرملية ثم تنساب في جداول متعددة اصبحت قليلة بفعل وسائل الري الحديثة التي جمعت مياهها ونظمتها . وكان كل من طورى وترماكيزا حصنا منيعا تحيطـه اراضي مزروعـة

وقد بنيت هاتان القلعتان بسورين كبيرين داخلي وخارجي وبينهما خندق مملوء بالماء وفي داخلهما مستودعات كبيرة للحبوب ومعدات وعلف لخيول فرق الخيالة الملكية بما فيها الاصطبلات • وعندها هجم الجيش الآشوري على المستوطنات العديدة غير المحصنة والواقعة بين القلعتين فجرت معارك دموية بين جنود الطرفين هرب السكان على اثرها الى التلول المجاورة ولكن الدوريات الآشورية القت القبض عليهم جميعا واسرتهم ، ثم تمكنت من تطهير ميدان المعركة والحقت بالمدافعين هزائم منكرة واستطاعت قوات سرجون استعمال دبابات المتارس المهدمة وسلطتها على اسوار القلعتين ودكتها مع الارض واضرمت النيران بثلاثين قرية في تلك البقعة فتصاعد الدخان الى عنان السماء من كل جانب ونهب الجيش الآشوري كل ما هناك من خيرات وثروات • اما المعركة الحاسمة والاخيرة فقد جرت في غرب مقاطعة سنكيبوتو الواقعة عند نهاية التقوس الذي يمتد من مدينة تبريز خلال منطقة كوناي المزدحمة بالسكان ، والذي يلف ببحيرة اروميا من شمالها حتى يصل الطرف الغربي من المقاطعة المذكورة حيث احتشدت جيوش اورسا الارارتية لمقابلة سرجون • ومقاطعة سنكيبوتو تشمل وادي نهر الزولا Zola الخصب ويسمى اليوم سهل سلماس(٤٦) ولقد بذل اورسا جهدا كبيرا في جعل هذه البقعة جنة من جنائن بلاد ارارات وتحميها قلعتان عظيمتان منيعتان اولاهما تدعى قلعة Ulha ألها أو ألحا (تسمى الآن ألاغ

وهروج • وكما ان اسس مدينة تبريز على طبقات عميقة من الرمال فان معالم القلعتين تنطمر في الرمال حال تدميرها ومن المحتمل ان القرى الثلاثين التي اكتسحها سرجون نمت وتوسعت حتى اصبحت تبريز اليوم • والاسماء المختلفة لمدينة تبريز هي من بقايا اسماء القرى اثناء القرن الرابع عشر الميلادي •

(٤٦) ويشابه توررودنجن في كتابه الحملة الثامنة ص P. VIII مدينة ألها بمدينة مراند ويقول بأن جبل كشبال هو الامتداد الجبلي الذي يقع جنوب المدينة غير ان هناك ما يحول دون صحة هذا التشابه :ــ

اولا ــ لا توجد لمدينة مراند ري رئيسي ثابت وانما تعتمد في مياهها على ينابيع صغيرة قليلة العدد •

ثانيا ــ ان المسافة بين مراند وكوى نحو اربعين ميلا وهي مسافة موحشة لا توجد فيها قرية ولا نبات ولا يوجد ذكر لطريق موحش كهذا في نص سرجون • وعلى عكسها المنطقة الواقعة بين طوري وألها حتى بحيرة وان فقد وصفت بانها مروج وجنان واسعة متصلة بعضها ببعض•

ثالثا ــ ان المسافة التي نحن بصددها تمتد داخل مقاطعة سنكيبوتو بينما مدينة مراند منفصلة عنها اذ تقع في الجهة الاخرى من الجبل •

رابعا ــ ان الطريق من تبريز الى مراند يمر خلال بلدة صوفيان (سوبي) التي لم يذكر عنها انها تقع على طريق • وسنكيبوتو التي وصفت بالبقعة الخضراء الممتدة على طول القسم الشمالي من بحيرة اروميا هي نفس البقعة الممتدة من غرب مدينة صوفيان حتى بلدة كونا شهر Kohna Shahr في سلماس • وتوجد هناك اراضي قليلة غير مزروعة لا تشكل حدا طبيعيا للمنطقة المذكورة ، كالسهل الممتد جنوب « الجهة المشرقة » من جبل ميشاو •

Ulagh او ألا Ula)[٤٧] وتقع عند سفح جبل كشبال kishpal(ينكالوخ داغ Yungalukh Dagh) والثانية تدعى شردورى هوردا Shardurihurda (كوتا شهر)[٤٨] الواقعة عند سفح جبل كشته Kishte وهى تحرس الطريق الضيق الموصل الى بلاد اراراتو • وقد سقى السهل المحصور بين هاتين القلعتين وزرع واستوطن فأصبح لا يختلف بشىء عن وادى الفرات وحفرت فيه آبار كثيرة[٤٩] وشقت فيه اقنية وجداول كثيرة لتوزيع المياه وسقى هذه الاراضى التى كانت فى السابق ارضا قاحلة فأصبحت بفضلها تعج بالبساتين والكروم والاشجار الباسقة[٥٠] التى تغطى ظلالها الوارفة مساحات واسعة من هذا السهل على مد البصر كما كانت تنتشر فيه المواشى والانعام بكثرة وكانت خيرات هذا السهل تحمل بكاملها الى قلعة ألها لتخزن في مداخرها وفى قصر الامارة الفخم الذى تغطى سقوفه جذوع شجر السرو •

ولما رأى السكان اقتراب الجيش الآشورى صاحوا الويل وهربوا الى منحدرات الجبال • ثم هاجم الآشوريون اسوار المدينة الضخمة المنيعة فحطموها بالمعاول والفؤوس الحديدية وساووها مع الارض ثم نقلت اعمدة السرو فأرسلت الى بلاد آشور وصودرت مخازن الغلال والاطعمة واعطيت للجيش وجرت الخمورمن زقوقها كالانهار وخربت

---

(٤٧) ان مشابهة ألها بـ ألاغ تستند على ما يظهر على اللفظ والوضع الجغرافى والتعبيراللغوى ولكن هناك تنويعا فى لفظ حروف العلة ، اما ألا فهو اللفظ المحلى فى الوقت الحاضر •

(٤٨) ان مشابهة شردورى هوردا بمدينة كونا شهر مستنتج من الوضع الطبوغرافى فقط• فمدينة كونا شهر تضم تلولا مهمة وتقع عند ملتقى دربين يتجهان نحو الغرب عند قدم اعلى قمة فى منطقة سلماس وتقابل قلعة ألها ، فهى بموقعها هذا تسيطر على جميع السهل • وقد كانت فى العصور المتوسطة اهم مدينة فى السهل وقد شيد المغول عند مدخلها برجا عاليا • وكان الناس فى ايام سرجون يدعونها « شردورى هوردا فى جبل كشتى » •

(٤٩) والصورة الواضحة عن رى منطقة سلماس هى أن المياه لا تبعد كثيرا عن سطح الارض اذ تسيل فوق طبقة صخرية او طينية غير نافذة وهناك جداول عند رأس الوادى تسحب مياهها من نهر الزولا الذىيجف فى اوقات معينة من السنة ولكنه يمتلىء بالماء مرة اخرى من مياه العيون الكثيرة التى تنساب فيه وعلى بعد ميل واحد من جنوب جداول المياه المذكورة يوجد مجرى دائمى للماء ينصب فى وادى النهر ولذا فان عددا كثيرا من القرى تمتد على جانبيه وكذلك على بعد اميال عديدة منه حيث يجرى اليها الماء بواسطة جداول عديدة • وفى سنة ١٨٩٦ م حدث زلزال سبب خللا فى الطبقة الارضية غير النافذة وذلك شرق قريتى حاف ديوان وخسروفا فأنحصرت المياه ثم تدفقت من الآبار وطغت على سطح الارض فخربت البيوت وهجر السكان تلك المنطقة حتى وجدت منافذ واقنية جديدة لهذه المياه المحجوزة •

(٥٠) وهذه الاشجار الضخمة تدعى فى منطقة سلماس ، قلم فور • وهنا اثبات جديد لمطابقة ألها مع ألا الواقعة فى منطقة سلماس عن مطابقتها مع مراند • وذلك لان شجر قلم فور لا ينبت فى مراند وانما ينمو فى غرب بحيرة اروميا فى منطقة سلماس واروميا بارتفاع يتراوح بين ٦٠ و٨٠قدم على طول جداول الارواء والسقى •

حدائق القصر واهلكت الزروع وقلعت الاشجار فاصبحت تلك البقعة النضرة التي تشبه حجرة اللازورد ارضا جرداء • ثم زحف الجيش الآشوري على الحصن الثاني ، شردوري هوردا فأكتسحه مع سبع وخمسين مدينة ودكوا معالمها وساووها مع القاع واضرموا النيران في سقوفها • وتوجه بعدها الجيش الزاحف من سلماس الى جهة الشمال نحو ابعد مناطق سنكيبوتو (٥١) حيث يوجد هناك معبد للارارتيين كان قد بني في الازمان السالفة وكلف نفقات باهضة كما توجد بالقرب منه على طول نهر كوتور جاي (Kotur Chai) قصور فخمة ، ارتفاع جدرانها مائة وعشرون قطعة من الآجر ومحاطة بخنادق مملوءة بالماء وعريضة وعميقة وتحرس مداخلها ابراج عالية حصينة • وتشرف هذه القصور على سهول تنتشر فيها القرى الكثيرة (٥٢) وقد وضع سكان هذه القرى المراقبين في اعلى الاماكن لمراقبة تقدم الجيش الآشوري واعلام القوم بواسطة اضرام النيران باكوام الخشب عند اقتراب الخطر المميت • ولما اصبح الجيش الآشوري على بعد بيرو فقط هربت جموع السكان كالسيل الى الطرق المؤدية الى الجبال تاركة وراءها كل غال ورخيص لتنجو بارواحها ولكن سرجون احاطهم من كل جانب كقطع الغيوم المظلمة او الجراد الزاحف الا اولئك الذين هربوا على عجل والتجئوا باحدى وعشرين بلدة محصنة عند مرتفعات جبل ارزابيا (افارين داغ Avarin Dagh) (٥٣) فالقوا الرعب بهروبهم في قلوب سكان بلاد ارارات (منطقة بحيرة وان) وحطموا معنوياتهم • وكانت غنائم الجيش الآشوري في هذه المنطقة لا تحصى اذ نقلت كميات هائلة من الغلال المدخرة ، على ظهور

(٥١) « وزحفت من ألها على كل حصن مهم في سنكيبوتو ••• » هكذا ورد في نص سرجون ولم يذكر مقاطعة غير سنكيبوتو ولذا فان كوى تدخل ضمن هذه المقاطعة الواسعة وتفصلهما عن سلماس تلول عديدة قليلة الارتفاع •

(٥٢) وتدعى : « خرنوكو Hurnuku ، خردانيا Hardania ، كزوارزو Gizuarzu ، ششزسا Shashzissa ، خندرنا العلياوالسفلى Upper and lower Hundurna .... أو أدنا أنزا Uadnaunza ، ارازو Arazu ، شاسينيا Sha Sinia ، ال •••نك El......nak ، ستوورزو Sittuarzu زرما Zirma ، سورزى Surzi ، اليادينيا Eliadinia ، داك ••• Dag ...... سرزيالديو Surzialdiu ، أرمونا Armuna ، كناشتانيا Kinashtania وهي احدى وعشرون مدينة محصنة كانت تقع على قمم جبل ارزابيا •

(٥٣) ويدخل نهر كوتور (كتور) Kotur مع فروعه سهل خوى Khoy من جبال افارين Avarin (Avrin) (التي ترتفع ١١ر٢٨٤ قدم) الواقعة في غرب خوى ومجموعة قمم جبل خراسانلو Khurasanlu (وتدعى ايضا سلسلة جبال تبرزان) الواقعة في جنوبها الغربي والتي كانت تدعى ارزابيا وتضن انها ارتيا • ومن المؤكد ان ممر ارزابيا كان على حدود بحيرة وان في الشمال الغربي من اروميا بمسيرة اثنى عشر بيرو (ساعة مضاعفة) حيث وصل سرجون الى نهاية الممر • ولا يوجد في النص ذكر لمدن وقرى في جبل ارتيا كما لا يمكن للواقف في سهل خوى ان يرى قرية على جبل افارين • وهناك عدة قرى على وديان المياه محجوبة عن الانظار وهذا هو الدافع للتمسك بالمشابهة المذكورة اعلاه • ويمكن مشاهدة القرى على طول نهر كتور •

الحيوانات الى بلاد آشور ثم اضرمت النيران فى القرى والمدن والقصور حتى ان سحائب الدخان الكثيفة غطت السماء اياما طوالا وهكذا اتم سرجون غزو بلاد سنكيبوتو .

وزحف الجيش الآشورى مسيرة اثنى عشر بيرو الى اعالى نهر كوتور جاى بين سلسلة جبال ارزابيا الشـاهقة وسلسلة جبـال ارتيا Irtia حتى وصل الى النقطة التى ينشطر فيهـا النهـر الى فرعين(٥٤) فرع ينصب فى بحيرة وان والآخر فى بحيرة اروميا واصبح يطل على سهل بحيرة وان. غير ان الجيش الآشورى خارت قواه من كثرة المتاعب والمعارك فرفض مواصلة الزحف والقـى بنفسه على الارض طلبا للراحة كالماشية الشاردة المنهوكة ولم يبق بينه وبين تشباش Tushpash عاصمة ارارتو الواقعة على « البحر المائج » (بحيرة وان) الامسيرة عشرين ميلا حيث حشد فيها اورسا جميع قواته . وان ما تبقى من هذه الحملة الطويلة يتناول المعارك التى دارت بين الجيش الآشورى وقوات اورسا الارارتية فى منطقة بحيرة وان .

(٥٤) ويعقب الطريق مجرى نهـر كتـور بمنحدر جميل (بالرغم من طبيعة وادى النهـر الذى تشتد فيه الرياح) يقترب بين اطلال لمعبد آشورى قديم فى باكان (Pagan) ثم يستمـر الطريق متعرجا حتى يصل الى نقطة تقاطع خط الطول والعرض ٣٨ درجة و٢٧ دقيقة شرقا و٤٤ درجـة أو ٤٢ درجـة و ٣٠ دقيقـة شـرقـا فتشرف على بحيرة وان . وبامتداد هذه السلسلة الجبلية الى الجنوب تنفصل مياه الزاب عن مياه بحيرة اروميا . وبامتدادها الى الشمال تنفصل ايضا المياه المنصبة فى بحيرة وان عن مياه آراس.

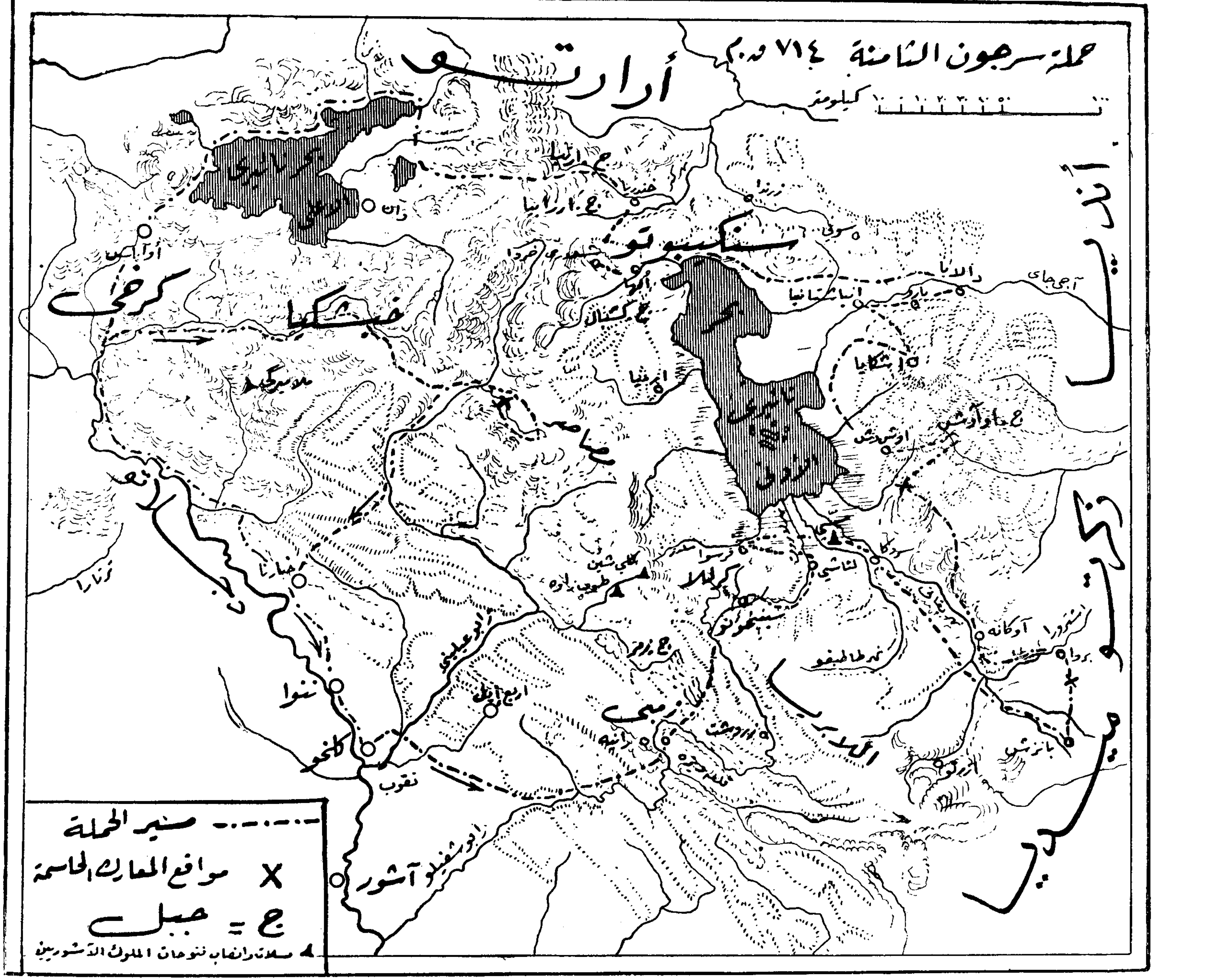
ولما كان كاتب المقال لم يصـل هذه المنطقة اثنـاء تجواله في الشمال الغربى من ايران والشمـال الشرقى من العراق لذا فقـد اكتفـى بالكلام عن الحملة الآشورية التى تتناول المناطق التى ارتادها.

وهكذا فقد انتقم سرجون للمنائيين واعاد شرف آشور وكرامتها فى هذه المناطق ولكن لاشهر قليلة فقط(٥٥).

* * *

هذا هو نص المقال الذى نشره المستر رايت فى مجلة دراسات الشـرق الادنى (JNES.) اما المعلومات التاريخية المكملة للحملـة :ـ فهـى ان اورسا اصيب بمرض شديد على اثر اندحاره هو وحلفاؤه الزكرتيون فهرب الى عاصمته تشباش او توروشباش (وان) ولما اصبح سرجون على بعد عشرين ميلا منها ، هرب اورسا الى الجبال حيث انتحر وبذلك تخلص سرجون من اخطر عدو على الامبراطورية الآشورية . على ان سرجون لم يدخل مدينة وان عاصمة الارارتيين كما فعـل من قبله والده تكلات بلاصر الثـالث ولكنـه استـولى على جميع المدن الارارتية الواقعة فى شمال البحيرة كما ورد آنفا (فى مقال المستر رايت) ، واخذ يزحف نحو الجنـوب الغـربى من بلاد ارارات (ارمينيا) الى مدينة أو أجايس (بتليس) المحصنة فضرب عليها الحصار ولما طالت مقاومتها تركها بعد

(٥٥) وكما هو موضح فى مصدر (١) عن الدوافع لكتابة هذا المقال فان الكاتب لم يذهب الى ما وراء نهر كتور عبر الحدود الايرانية ولذا فانه من الصعب عليه توضيح ما جاء فى بقية الحملة ومقارنتهـا بجغرافية البلاد الحالية .


حملة سرجون الثامنة ٧١٤ ق.م
كيلومتر
أورارتو
أراراتو
ميديا
ماناي
سفينة
كرخي
نينوا
كالخو
آشور
زاب
دجلة
مسير الحملة
X مواقع المعارك الحاسمة
ج = جبل
▲ سلاد وانصاب ونوحات الملوك الآشوريين

ان هدم قسما من حصونها الخـــارجية وخــرب البساتين المحيطة بها ثم سار بموكب رهيب يصحبه عامله ايانزو ملك نائيرى الى مدينة خبشكيا عاصمة البلاد النائرية ليستقبل وفود الامراء الذين توافدوا عليه لتقديم الطاعة والخضوع وليتقبل هداياهم . ولم يجد الملك سرجون بيـن امراء وملـوك تلك المناطق الذين جاؤوا خبشكيا لتقبيل أقدامه ، الملك الصغيـر اورزانـــا ملك مصاصـر (Mussassir) (طوب زاوه Topzauä) فقد تخلف عن الحضور وكان دوما من اعوان اورسا كما لم يدفع الجزية كاملة . فغضب الملك سرجون وقرر تأديبه . ولما كان الملك سرجون قد ارسل قواته الرئيسية الى بلاده آشور فهجم بحرسه الخاص المؤلف من الف فارس على مدينة مصاصر المستحكمة فى الجبال واخذ سكانها على حين غرة فهرب اورزانا واسر سرجون نساءه واطفاله وغنـم ثروات طـائلة من قصر الملك اورزانا ومن معبد الالهخلديا (Chaldia) وبعدها رجع سرجون الى بلاده آشور تصحبه قوافل الغنائم من الاسرى من الملوك والامراء وهكذا قضى سرجون على اعدائه فى الشمال والشمال الشرقى واراح الامبراطورية لا لبضعة اشهر كما يقــول المستر رايت وانما لقرن كامل .

بغــداد **محمود الامين**